

الاحتياطُ الصَّرْفِيُّ لِلْمَعْنَى فِي شِفْرِ الْمُتَنَبِّئِ.

قَالَ الْمَصْدَرُ الصَّرِيحُ أَنْوَذَجًا

إعداد

حمدي علي بدوي أحمد

مدرس علم اللغة بقسم اللغة العربية

كلية الألسن - جامعة الأقصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين، والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، وصحبه الكرام البررة، اللهم يسر وأعن. وبعد.....

فإن هذا بحثٌ في الاحتياط الصرفي للمعنى في شعر المتنبي، يتخذ من قالب المصدر الصريح نموذجاً تطبيقياً، يشكل - بذلك - آلية صرفية من آليات احتياط المؤلف لمعناه، ويُمكن عرض مفرداته على النحو الآتي :

الملخص:

يُحاول الباحث أن يقدم معالجة يكتننه بها: أبعاد الاحتياط للمعنى/المحتوى المضمّن في التراكيب والجميل، التي كان لقالب المصدر الصريح فيها الدور الحاسم في الاحتياط للمعنى، في منجز كلامي لشاعر تفرّد في كل شيء؛ نفساً، وشعراً، وحياة، حتى موتاً، وهو المتنبي (ت354هـ/956م) أبرز شعراء الدولة العباسية المجيدين، في عصرها الثاني، وأيقونة اللغة الشاعرة العليا.

أظهر البحث استخدام أبي الطيب للقوالب المصدرية القياسية؛ بنوعها، الثلاثية، وغير الثلاثية، والسماعية غير المستعملة (المهجورة)، بصورة مقصودة ومكثّفة؛ ليظهر قوته الذاتية، باستخدام قوالب لغوية ذاتية ومفردة وقوية، تعبّر عن إفراطه في الاعتداد بذاته، وقوته المجتمعية، لاحتاط لمعناه؛ من خلال قوالبه اللغوية وتراكيبه الشعرية؛ التي جسّد بها واقعها النفسي والمجتمعي، فكان مرآة مقعّرة لمجتمعها.

الكلمات الافتتاحية: بنية القوالب اللغوية، المؤلف - المتلقي، حديث النفس - القصد، الاحتياط، التفاعل = لذة التلقي.

المصطلحات الأدبية: الانتخاب، القوالب العرفية، طاقة التلقي، الاستلزام التخاطبي. التداولية الحوارية.

Summary:

In this research, the researcher is trying to provide a treatment that he can understand; The reserve dimensions of the implicit meaning and some of its mechanisms, representing them by citing verbal evidence of the type of poetic sayings, defining a qualitative morphological template, represented by the structure of

the explicit infinitive, in the verbal achievement of a poet who was unique - among his peers and the structures of his era - in everything; Soul, poetry, and life. He is considered one of the most prominent and glorious poets of the Abbasid state, in its second era, at the end of the seventh century AH. He is Abu al-Tayyib al-Mutanabi, the icon of the supreme poetic language, in order to shed light on the issue of propositional content, embedded in structures and sentences, which had a template. The source in which the decisive role is Abu al-Tayyib al-Mutanabbi's precaution for his meanings.

- The template of the explicit infinitive - in Al-Mutanabbi's poetic discourse - formed a direct and deliberative verbal action, and a linguistic mechanism by which the author established a psychological and semantic bond, and achieved a direct influence between him and his recipient. - The structure of the explicit infinitive helped to reserve the central meaning of the speech. It enabled the recipient's mind to reach the central intention of the author of the speech, or at least helped him to give preference to a specific meaning, as a matter of approach and expectation. Abu Al-Tayeb excelled in selecting the templates of the explicit infinitive, and in condensing them from the rest of the templates of speech acts, because of his awareness of the ability of these templates in terms of phonetic, syllabic, and pragmatic values to be described by their power in reserve of meaning. - The context of intent had a decisive role in revealing the implicit meaning behind the template of the explicit source, and in this position this template was transformed into a communicative tool, carrying an expressive function, which it is correct to describe as achieving the pleasure of the evasive; The recipient combines semantic strength, functional suitability, and specificity of orientation.

محتوى البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة تشكّل الإطار العام للبحث، يتلو المقدمة فصلان، الفصل الأول، يشكّل الجانب النظري للبحث، في حين يشكّل الفصل الثاني الجانب التطبيقي للبحث، ثم تأتي الخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع. ويُمكن معالجة هذا الأمر على النحو الآتي:

المقدمة: وتمثّل الإطار العام للبحث، وتتضمن حديثاً موجزاً عن النقاط التالية:

- التعرّض لموضوع البحث، والإحساس بمشكلته، ودوافع اختياره، وأهدافه.

- إبراز الأهمية النظرية والتطبيقية للبحث.

- الحديث عن حدوده ومادته، وافتراضاته وصعوباته، وتسألاته، والمنهج المتبع في معالجة مفرداته.

- عرض بعض الدراسات السابقة ذات الصلة، وعقد موازنة تقريبية بينها وبين البحث الحالي.

الفصل الأول: ويشمل: الجانب النظري للبحث، ويتضمن النقاط التالية:

- مقدمة، وفيها حديث مختصر عن النقاط التالية:

- ماهية اللغة التواصلية:

- إدراك القدماء لألية الاحتياط للمعنى.

- التمهيد: وفيه حديث عن:

• العلاقة المتداخلة بين علم الصرف وعلم الدلالة من جهة، وبين قالب المصدر الصريح والاحتياط للمعنى من جهة أخرى.

• التعريف بأبي الطيب المتنبي.

الفصل الثاني: ويتضمن الجانب التطبيقي للبحث، ويشمل محورين، هما:

المحور الأول: الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصادر الثلاثية في شعر المتنبي، ويختصُّ بدرس الصيغ المصدرية الثلاثية التي أوردها في منجزه الشعري احتياطاً لمعناه، ويشتمل على النقاط التالية:

• مدخل تمهيدى:

• من أمثلة الصيغ المصدرية الثلاثية:

- أولاً- ما جاء على زنة (فَعَالَة) ، بفتح الفاء والعين.
- ثانيًا- ما جاء على زنة (فِعَالَة) بكسر الفاء، وفتح العين.
- ثالثًا- ما جاء على زنة (فُعَال) بضم الفاء، وفتح العين.
- رابعًا- ما جاء على زنة (فِعَال) يكسر الفاء، وفتح العين.
- خامسًا- ما جاء على زنة (تَفْعَال) بفتح التاء، وسكون الفاء، وفتح العين.
- سادسًا- ما جاء على زنة (فِعْلَان) ، بكسر الفاء ، وسكون العين.
- سابعًا- ما جاء على زنة (مُفْعِل) بضم الميم، وسكون الفاء وكسر العين، ومما جاء على زنة (مَفْعِل) بفتح الميم ، وسكون الفاء وكسر العين.

المحور الثاني : الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصادر غير الثلاثية في شعر المتنبي،

يتضمن معالجة النقاط التالية:

• مدخل تمهيدى :

- أولاً - مما جاء على زنة (افْتَعَال) ، بكسر ألف الوصل ، وسكون العين.
- ثانيًا- ما جاء على زنة (تَفْعُل)، بفتح التاء، وفتح الفاء، مع تشديد العين وضمها.
- ثالثًا- ما جاء على زنة (تَفْعِيل)، بفتح التاء، وسكون الفاء، وكسر العين الممدودة.
- رابعًا- ما جاء على زنة (اسْتَفْعَال).
- خامسًا - ما جاء على زنة (تفاعُل)، من تَفَاعَل، التي مصدرها تَفَاعُل ، بضم العين.
- سادسًا - ما جاء على زنة (انفعال) من الفعل الخماسى: انفعال.
- سابعًا - ما جاء على زنة: (إفعال).
- ثامنًا - ما جاء على زنة: (افعال) بكسر الهمزة، وسكون العين.
- تاسعًا- ما جاء على زنة (مفاعلة)، بضم الميم، فتح الفاء الممدودة، وفتح العين واللام.

الخاتمة ، وتشتمل على ما يلى :

- أهم النتائج .

- أهم التوصيات.

ثم : ثبت المصادر والمراجع.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

موضوع البحث :

يُعالج هذا البحث عدول مؤلف الكلام إلى قالب المصدر الصريح في الاحتياط

الصرفي لمعناه المركزي؛ رغبة منه في تحقيق بنية حجاجية جيدة ومعبرة، تقوم علي جمالية الالتفات وحسن التفاوض الدلالي، والإقناع، ومراعاة أفق الانتظار لطاقة التلقي، وذلك في التراكم الشعري للمتنبي، ذلك الشاعر الذي جعل من قوالبه الصرفية صوراً معبراً عن أفكاره وخلجات نفسه، كأنه واءم بين صوت نفسه وسياقها المادي والرمزي.

وهنا يكون حرياً بالباحث أن يُشير إلى أن مفردات هذا البحث لن تتعرض لدرس التأطير النظري لقالب المصدر الصريح، ولا أوزانه الصرفية أو قواعد صياغة البنية المصدرية. ولن تعكف على درس سبب وروده على صورة شكلية معينة، من دون صيغة أخرى؛ وفقاً لضوابط المعيارية أو الاستعمال، أو التدريب؛ ولا يبحث خضوعه لتصرف الإعلال أو الإبدال، بالإضافة إلى أنه لا يدرس محددات التقلب الأصولية، فإن هذا الأمر بعيد عن مرمى البحث الحالي؛ إنما يتعرض لدرس ما يملكه قالب المصدر من قيمة دلالية، موصوفة بالقوة والتدفق، والتركيز؛ مما جعل مؤلف الكلام يروغ إليها، لاحتياط معنى نوعي، من دون سواء مراعيًا طاقة التلقي.

مشكلة البحث الحالي:

تجلّت مشكلة البحث الحالي في الافتراض بحتمية الكشف عن أبعاد الطرح التداولي والتأصيل لها في مفردات ثقافتنا العربية، حين يُستدعى للموازنة، من خلال بحوث تنظيرية، وأخرى تطبيقية، مع قناعة الباحث بأن العرب قد أدركوا أن من واجبات مؤلف الكلام أن يوفر لمتلقيه بيئة تواصلية إقناعية، بحيث لا يترك له مجالاً للحيرة والتردد، في تحديد المعنى المقصود من الألفاظ؛ بل أتاح له ما يرفع اللبس وسوء الفهم، وينتفي معه الخلط.⁽¹⁾

التساؤلات البحثية:

ما يهمُّ البحث - هاهنا- هو تعرّف الأسباب الضمنية التي وقفت وراء انتخاب أبي الطيب للقوالب المصدرية في احتياطه للمعنى؟.

انطلاقاً من أن هذا الأمر يشكل تساؤلاً رئيسياً، يعضّده تساؤلات عدة غير مباشرة؟. أقربها إلى الذهن يستفسر عن مدى نجاح المتنبي في تحقيق ما ألزم به نفسه، من عليّة

(1) انظر: ضروب الاحتياط في اللغة العربية (دراسة نحوية)، د: آمال أحمد السيد عامر، حولية كلية اللغة العربية بنين، بجرجا، جامعة الأزهر، العدد (22)، الجزء السابع، للعام: 1439هـ/2018م:

تكثيفه لقالب المصدر الصريح ؟. مما يستدعي تقديم إجابات تطبيقية، تحاول إقناع المتلقى، على تبين نمطه، واختلاف سياقات التلقى، ولو بوجه من الوجوه الدلالية المحتملة في شعر المتنبي؛ لاسيما حين تقوم صياغته للقوالب اللفظية - قوالب وتراكيب - على المزوجة بين السطحية، والإيغال في الخيالات الرمزية.⁽¹⁾

بحيث لا يجد القارئ سبيلاً إلى اقتناص ما يُريد من دون كد؛ ولعل هذا من براعة المتنبي وتفرّده، فقد يبدأ بسيطاً سطحياً في دلالاته، ثم تنزلق قدم المتلقى إلى سراديب الغموض المحض والتهيه، حين يغدو الغموض والإيغال غاية، لا وسيلة فنية، تُعين المتلقى في استدعاء العديد من الصور الدلالية الجزئية الكاشفة عن القصد والمعنى.

أسباب اختيار الموضوع:

يظل أبو الطيب المتنبي أيقونة لغوية متفردة متجددة، تستعصى على التقادم، رغم كثرة ما فيه من دراسات، وتعدّد ما أُجرى فيه من بحوث، مع تنوع مشاربها ومناهجها، حتى إن الباحث ليجد غضاضة في التعريف به؛ فقد ملأت ترجماته الأرض شرقاً وغرباً؛ لذا فلن يُفرد الباحث حديثاً مستقلاً لتقديم ترجمة له، إذ يعد ذلك نسقاً من أنساق الفضول والتزيّد.

بيد أن الباحث يدّعي أن موضوعاً يدرس احتياط المتنبي لمعناه من خلال قوالب لغوية من جنس المصادر لم يُتناول بشيء من الدرس والتفصيل، وإن وُجدت دراسات سابقة أشارت إلى هذا التصرف بصورة مجملة، وقد شكّل هذا الأمر منحة ومحنة؛ إذ إن كثرة الدراسات حول هذا الشاعر جعلت من مفرداتها معيناً للبحوث الأخرى، في حين جعلت من الإتيان بما يصلح للبحوث المتميزة أمراً عسراً، يعوزه التنقيب والتجويد.

أهداف البحث: يسعى هذا البحث إلى ما يلي:

التأكيد على أن اللغة العربية - بقوايلها المتعددة - لغة تستوعب أفق الانتظار الآخر، وتراعي طاقته، بالمفهوم المتّسع لكلمتي الآخر، وطاققة التلقى، وأن لديها العديد من القوالب، والجذور، والآليات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والتركيبية، والتداولية، والسياقية، التي تمنح مؤلف النص العديد من سُبل التواصل - بنجاح - مع طاقة التلقي للآخر علي اختلاف أنماطها وخلفياتها ومرجعياتها الثقافية.

(1) انظر: العمدة في محاسن الشعر لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، حققه وفصله وعلق

حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م

دراسة آلية الاحتياط الصرفي للمعنى في اللغة الشاعرة، من خلال قالب المصدر الصريح، بوصفه وحدة لغوية مستقلة مقطعيًا؛ بالإضافة إلى كونها حَمَّالة للدلالات المتواترة، ومعبرة عن المعنى المقصود بقوة وتدفق دلالي؛ ويكون الجانب التطبيقي والتمثيل لها من شعر المتنبي.

الكشف عن الأسباب المضمنة وراء عدول أبي الطيّب المتنبي إلى قالب المصدر الصريح؛ بغية الاحتياط لمعناه وتمكينه وتثبيتته في ذهن المتلقي؛ من خلال تحليل بعض الشواهد في منجزه الشعري.

أهمية البحث الحالي: تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1-تسليط الضوء على آلية من آليات اللغة العربية في الاحتياط الشديد للمعنى، وهذا يدفع إلى الإقرار بتجذّر أبعاد الطرح التداولي في مدونات أسلافنا.
2-رصد بعض الآليات الصرفية للاحتياط للمعنى في شعر المتنبي بقالب المصدر الصريح.

3-بيان أثر هذا الاحتياط للمعنى علي إنفاذ عملية التخاطب وإنجاحها، والتأكيد على العلاقة الطردية بين القصديّة وقالب الفعل الكلامي.

4-الكشف عن أثر ذلك الاحتياط في توجيه المعنى، وتمركزه حول ما أريد به.

5-ويُرومُ الباحثُ – بهذه المعالجة، وبمنهج وصفي (1) أن يكشفَ آليات توظيف

المتنبي للوحدات المصدريّة في احتياطه لمعناه؛ فصار المصدر القالب المفتاح Tagmeme / The key Structure للمعنى، أو: كلمة الانفعال، أو علامة المعنى الدّاخلي؛ تتحول فيه بنية المصدر من كونها بنية صرفية في علاقة مجردة ما مع عناصر لغوية تركيبية إلى نواة من أنوية الدلالة Semantics في التركيب Clause النوعي، أو في النص برمته؛ أو تصير بنية المصدر بابًا من أبواب التفكير للمعنى؛ أو يكون المصدر بمثابة نسق جزئي تتشكل منه الأنساق الكلية للمعنى.

منهج البحث:

ينتهج الباحث المنهج الوصفي، القائم علي رصد بعض مواضع الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصدر الصريح في شعر المتنبي، ومن ثمّ تحليلها علي ضوء من آليات التتبع للقصد الحقيقي المضمن فيه، التي قامت علي أساس من قصديّة الانتخاب، مع المزج –

(1) دَوَّنَ الباحث المنهج الوصفي، إيمانًا منه بأن جميع المناهج تتداخل مع المنهج التحليلي، حيث إن المنهج التحليلي من لوازم المنهج الوصفي بصورة خاصة.

قليلاً- بين منهج الإحصاء بالاستقراء الناقص والمنهج النقدي في التقريب الدلالي لبعض الافتراضات، من دون التعمق في معطيات كليهما؛ إذ ليس مجال البحث ذا أبعاد نقدية ولا إحصائية محضة، حيث يحتاج كل منهما إلى بحث منفصل ومستقل.

حدود البحث الحالي : تكمن حدود هذا البحث فيما يلي:

-الحد الدشري: الشاعر العباسي أبو الطيب المتنبي، المتوفى عام 354هـ.

-الحد الموضوعي: الاحتياط الصرفي للمعنى بآلية قالب المصدر الصريح.

-حدود المادة (المدونة اللغوية): الأقوال الشعرية المثبتة في ديوان المتنبي، طبعة أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر، احتفالاً بالعيد الألفي للشاعر، صححها، وقارن نسخها، وجمع تعليقاتها د: عبد الوهاب عزام، 1363هـ، وعدد صفحاتها (622) بعد المقدمة، التي بلغت حوالي 40 صفحة، مرقمة بالأحرف الهجائية المفردة والمثناة.

-الحد الزماني (التاريخي): الدولة العباسية في عصرها الثاني، عام 354هجرية.

الدراسات السابقة:

لا يزعم الباحث أن مفردات بحثه من الجدة علي إطلاقها، فقد سبقت إلى موضوع بحثه بعض الأبحاث؛ لذا يقر أنه يستكمل ما قد يكون فات سابقه، بتناول مختلف، يمزج بين الأصالة والحداثة، وسيركز عرضه للدراسات السابقة حول ما يختص ببحث الاحتياط للمعنى، إذ عليه تقوم ركائز البحث الحال، ومنها ما يلي:

1. آليات الاحتياط الصوتي والصرفي للمعنى في قراءة حمزة، للدكتورة: تهاني فيصل علي البنيان، كلية الشريعة والأنظمة بالطائف، مجلة الجامعة العراقية.

العدد 49، الجزء الثاني. ويفترق هذا البحث عن البحث الحالي فيما يلي:

- رصدت الباحثة بعضاً من أنماط الاحتياط الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، ومثلت لذلك، بيد أننا نجد عناصر البحث ونتائجه قد أغفلت الجانب الدلالي للاحتياط، والأغراض المباشرة له، ولم تعالج قصدية المؤلف في الانتخاب بين بنية وأخرى حتى يحتاط لمعناه.

- تناولت الباحثة العديد من آليات الاحتياط الصرفي للمعنى، من مثل: الاحتياط بالالتفات، وبتغيير حركة الضمير، وبإيراد المفرد بدلاً للجمع، وبتغيير طبيعة المصدر الثلاثي، والاحتياط باسم الفاعل، وبالتحويل من المضارع إلى الأمر، والاحتياط بتشديد المخفف، وبالبناء من المعلوم إلى المجهول، والاحتياط بتغيير بنية الكلمة، ولم تتناول

قالب المصدر الصريح من بين آليات الاحتياط للمعنى.

- اختلف ميدان الاستشهاد بين البحث الحالي وهذا البحث، فقد جاءت مصادر الاستشهاد في البحث السابق، من شواهد قراءة حمزة، في حين يختص هذا البحث بدرس الاحتياط الصرفي في شعر أبي الطيب المتنبي .

2- الطرائق الصَّرْفِيَّةُ والنَّحْوِيَّةُ للاحتياط للمعنى في ديوان المتنبي، دراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في تخصص اللغويات (مسار النحو والصرف) بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، بجامعة الملك فيصل بالأحساء، إعداد، فَوَّاز العُتَيْي، 1441هـ - 2020م، المملكة العربية السعودية، وذكر الباحث أن الاحتياط إنما يكون لتمكين المراد في نفس المتلقي. ممَّا يقرب من ثمة مشابهة بينها وبين البحث الحالي، بيد أنه لم يقف على الأبعاد الدلالية والتداولية للاحتياط للمعنى بالطرائق الصرفية، من خلال قالب المصدر الصريح تحديداً بالإضافة إلى أنه اختلف معه في مجال التطبيق، فهذا البحث منصب على بحث الاحتياط الصرفي في شعر أبي الطيب المتنبي.

فرضيات البحث:

ينطلق البحث من أن الاحتياط للمعنى له أبعاد تداولية ونفسية، وأن عملية الانتخاب للقوالب لم تتم لمجرد تمكين المعنى وتثبيتته فحسب، بل لتحمل زفرة نفسية عند مؤلف النص، وجاءت ردةً لتلاقح فكري بين طرفيه، وأختص بذلك قالب المصدر الصريح بوصفه فعلاً كلامياً موصوفاً بالقوة، والتدفق، والإحاطة، والدقة.

يشكل الاحتياط للمعنى بعداً اجتماعياً، حين يُراعي مؤلف النص طاقة التلقي وعرفيتها والدلالات الاجتماعية للقوالب اللغوية لدى متلقيه، ويرتكز الباحث في ذلك إلى أن المعنى - عند العرب - مغلبٌ على اللفظ، وأن قدر المعنى أعلى وأشرف من قدر اللفظ، حتى إنهم لينتخبون الأصوات والألفاظ؛ مما له خصائص وقدرة على حمل المعنى؛ فجعلوا منها الأضعف للمعنى الأضعف، وجعلوا منها اللفظ الأقوى للمعنى الأقوى⁽¹⁾.

وُرجَّح أن أبا الطيب المتنبي قد حمَّل قالب المصدر الصريح وظيفةً تعبيريةً مزدوجةً وتكاد تكون متناقضةً، فراغ إليه، ليجعل منه وحدة كلامية من الوحدات المراوغة، ذات

(1) انظر: الخصائص، لابن جني، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، (د. ط)، 1418هـ.

الثنائيات الدلالية المتناقضة؛ فما يلبث المتلقى أن يحسب أن قالب المصدر الصريح عنده آلية من آليات الاحتياط للمعنى المضمّن؛ إلا ويجد أن هذا القالب نفسه قد شكّل إضاءة بصرية ودلالية، لقالب شكلي، أعان في اكتناه المعنى.

يعكس البناء المقطعي لقالب المصدر دورًا حاسمًا للبنية اللفظية في تقوية الدلالية، وتكثيف عناصر الوحدة الكلامية المستقلة حول المعنى المراد، والمضمن فعل القول، من دون فعل القول المتلفظ به. بقي للباحث - بعد معالجة الإطار العام لبحثه - أن يدلف - متعرضًا - لأبعاد الجانب النظري لمفردات بحثه، والتي يُمكن أن يتناولها على النحو الآتي:

الفصل الأول

الجانب النظري للبحث ، ويتضمن النقاط التالية:

مقدمة ⁽¹⁾ حول ماهية اللغة التواصلية:

تشكّل اللغة كيانًا - وكائنًا- حيًا وحيويًا من العلاقات المتشابكة بين الدوال ومدلولاتها، يقصد المؤلف - من خلال الرموز والعناصر الإشارية - الضغط على جزء ما يمس الإنسان، بهدف استثارة ذهنه، أو إلهاب نفسه من خلال الاختلاط بين الرموز والصور؛ يشكّلان - معًا - معنى ما، يأتلف - من خلال الكلمات والإشارات- في تركيبة جمالية ذات طاقة انفعالية، يتحقق بها التواصل والإفهام، بعيدًا عن تقييد المتلقى بمعنى نوعي ما، بل جعل حديث الإيحاء - والتميز والتخييل - حاملًا لفيوض من المعاني والدلالات الكلية والجزئية، في مفارقة صريحة بين المعنى العقلي للكلمات والمعاني المتوقعة أو المحتمل تقبّلها للمتخيّل من هذه الكلمات وفقًا لصياغتها، وفنّها، وهيئتها، وموقعيتها، ودلالاتها المعجمية والتصريفية والتداولية والاجتماعية، والعالم النفسى لصاحيها، شاعرًا كان أم مؤلفًا غير موصوف بإقراض الشعر. ⁽²⁾

(1) من الجيد التنبيه إلى أنه لا يُعني البحث الحالي التقيدُ بالصورة الصرفية للمصدر الصريح، بقدر ما يعنيه استثمار المتنبّي لطاقة قالب المصدر الدلالية في الاحتياط لمعناه ، ومرد ذلك إلى عدم ثبوت صورة صرفية أو بصرية للمصادر في عمومها ، حيث إننا قد نجد للمصدر صورتين أو أكثر، ممّا يبعث إلى الخلط والخداع الدلالي، فما يُعد أصلًا معياريًا في بيئة لغوية، تراه - في بيئة أخرى - لهجة استعمالية ، فلا يُمكن التسليم بمعيارية إحدي الصورتين عن الأخرى.

(2) انظر: كيف تتذوق قصيدة حديثة ، عبد الله محمد الغدامي ، مجلة فصول ، الجزء الثاني ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو/أغسطس/سبتمبر 1984 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة

وتغدو اللغة - بذلك - نظاماً من العلاقات المترابطة Cohesion Features بشبكة من العلاقات، مما يعظم من وجود علاقة متشابكة واتصال قوى ومتشابه بين علىي الصرف والدلالة، إذ يُعنى علم الصرف بتصريف الكلمة وتقلُّبها على وجوه متعددة، بين التجرد والزيادة، وبين كونها مشتقة ونواة، وبين متصرفة وجامدة، وبين زيادة بنيتها أو نقصانها، أو تباين في هيتها⁽¹⁾ بالإضافة إلى كون اللغة أداة تواصل وظيفية، وهذه الوظيفة Rote أى العلاقة التي تنشأ بين الملفوظ ومختلف العناصر المكونة له، وهي المقياس الذي يعتمده اللساني؛ بمعنى مقتصب، تكمن العلاقة بين العلمين في العناية بما هو أساسي في التواصل والتبليغ، أى: ما هو مفيد، بغض النظر بالمقابل عمّا لا يفيد، أى: لا يحمل شحنة إعلامية أو إخبارية⁽²⁾.

ويكون هذا التصرف اللغوي على نحو ما تنادى به المدرسة البنائية/البنائية في التحليل الدلالي؛ ليتجنب ذهن المتلقى الزلات التأويلية للمعنى المقصود، بمعنى أن يقع عبء التعبير عن المعنى على قالب المصدر، فصار له - من حيث الفئة Class والنوع Sort- وظيفية تعبيرية إيجابية⁽³⁾ حين يُسهم قالب المصدر في مجاوزة العناصر اللفظية حدّ الدلالات المغلقة إلى معاونة المتلقى في الكشف عن دلالة، أو فيوض من الدلالات. ما سبق يعد انطلاقة من كون اللغة وسية للإفهام والتواصل بين البشر، كما هو مقرر بأنها أصوات وقوالب وتراكيب، وأنساق لغوية، يعبرها أبناء الجماعة اللغوية الواحدة عن مقاصدهم، وقد وُضعت اللغة العربية - مثل غيرها من اللغات- بوصفها وسيلة لإفهام الشعوب والتعبير بها عمّا يُريده المتكلم؛ حتى يصل إلى المخاطب أو السامع بصورة جلية، من دون لبس، أو خلط، أو تعمية؛ من دون عناء ذهني، في الفصل بين الدلالات المتواترة من خلال اللفظ أو التركيب بجملته، وبين ثنائيات الانتخاب والاستبعاد، والرد والقبول والترجيح بين الأشياء؛ حتى إن المؤلف ليُخرج اللفظ المناسب

97:

(1) آليات الاحتياط الصوتي والصرفي في قراءة حمزة للدكتورة: تهاني فيصل علي البنيان، كلية الشريعة والأنظمة بالطائف، مجلة الجامعة العراقية، العدد 49، ج: 2، 189 (بتصرف).

(2) مفهوم اللغة عند البنيويين، دراسة تحليلية: 133

(3) انظر: مفهوم اللغة عند البنيويين، دراسة تحليلية، د: إحسان عبد القدوس، صحيفة دارالعلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، الإصدار الرابع، السنة الثامنة عشرة، العدد

السادس والثلاثون، رجب: 1431هـ/ يولييه 2010م: 133

المعبر - بدقة - عن المعنى المراد إيصاله⁽¹⁾.

بهذا يجد المتلقى - في هذا القالب الصرفي - سبيلاً إلى تفسير البنية الكلية أو الدلالة الكلية، من خلال العلاقات المتداخلة بين هذا القالب المصدري، وغيره من عناصر الشكل Form، التي صاغها المؤلف، وفقاً لغرض أو قصد أو نكتة لغوية أو بلاغية، انطلاقاً من الإضاءات التي توفرها الأبنية النواة، حين تشكل مفاتيح صرفية للمعنى الكلي؛ أو في ضوء العلاقات الدلالية بين الوحدات المشكلة للتركيب اللغوي، بوصف قالب المصدري بنية فعل كلامي / انفعال عمدة، تجسد البؤرة الشكلية للمعنى المضمن في فعل القول المنجز، بحيث لا يمكن - بحال - سلخ بنية المصدر عن مجموع البنية الكلية لانفعال المؤلف، في ضوء الخضوع النسبي والعرفي لقواعد النحو والأصول اللغوية، وتفعيل المحددات التداولية.

آلية الاحتياط للمعنى في فكر الثقافة العربية، قديماً وحديثاً (نبذة مختصرة):

أدرك النظام العام للغة العربية أن إنجاح عملية التواصل متوقف على إدراك المؤلف العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو الدوال ومدلولاتها، لذا احتاط مؤلف الكلام للمعنى بآليات عديدة منها: التذكير، والتأنيث، والتوكيد، والتكرير اللفظي والمعنوي، والتمهيد بزيادات السوابق، والدواخل واللواحق، والاستبدال الصيغي، والتحريك بالتقديم والتأخير، وبالحذف، والعدول والانتخاب؛ وغير ذلك من آليات الاحتياط.

فكان من تصرفات العرب - في العناية بالمعاني - دوران المؤلف بين ألفاظ اللغة العربية، يوازن بين مفرداتها، ومعناه الذي يُريده، وقد جعلت له اللغة العربية ضرباً من الاتساع، حين أوجبت - بسياقاتها - أن يكون لكل لفظة معينة دلالة خاصة، في ضوء العلاقة بين الدلالة المعجمية، والاستعمال والمواضعة، لينتخب منها ما يعبر عن المعنى بإحاطة ودقة، بهدف إبانته، وتصويره، لذا وصغوا التعريفات والحدود، وفصل بين المسمى والآخر، وأتاح لمؤلف الكلام أن ينتخب ما يناسب معناه من القوالب اللغوية. فتصير اللغة الشاعرة - والتي تجسدها الأقوال الشعرية - نافذة نفسية، تنفتح بها نفس الشاعر على العالم الخارجي؛ من الإنسان والأشياء، وغير ذلك من الماديات التي قد تشترك في تشكيل سياقات الشعر، بوصفه ردة لتأثر نفس صاحبه بموقف ما، أو رغبته الملحة في البوح بمكنون ذاته، أو التعبير عن حالة خاصة، تنتقل من ذاته، لتكون نواة لتشكيل حالة عامة.

(1) انظر: ضروب الاحتياط في اللغة العربية (دراسة نحوية): 6087

وتُعد الكيفية التي يُنتخب بها أداء فعل الكلام - أو ماهية أداء الأفعال بالأقوال - جوهر نظرية الفعل الكلامي، كما تعد محددات التلقى والتفسير لهذا المنجز الكلامي جوهر التداولية الحديثة، التي تُقام على مجاوزة الصور البصرية للبنى النحوية المتراصة وفقاً لقانون الرتبة المحفوظة، أو المحركة في ضوء محورية القصد، وقانون الرتبة غير المحفوظة، حتى تتمحور حول آليات التقبل والتفسير لتلك الأقوال الكلامية، وكيفية تلقيها لدى المتلقى على اختلاف نوعيته وسياقات التلقى.⁽¹⁾

إذ إن النظريات اللسانية - والتداوليات الحديثة من زاوية أخص - تنظر إلى القول الشعري بوصفه فعلاً منجزاً، يتحول إلى فعل كلامي مؤثر، يروم به مؤلف الكلام استدعاء متلقي، حاضر، أو افتراضي، إلى موقف الاستلزام التخاطبي، بهدف جعله عنصراً من عناصر الفعل الكلامي المنجز، لينتقل - بعد ذلك - إلى إتيان سلوك فكري أو حركي أو نفسي، قد يكون سبق التخطيط له، أو جاء عفويًا من نفس شاعرة، إذ إن نفس الشاعر مرهونة بواقع محيط، تتداخل فيه الذات، والأشخاص، والماديات، والمعنويات، لتتجمعها حالة من التفاعل والمعاشية.

يصبح من الجيد الإشارة - هنا - إلى أنه تُلزم الطروح التداولية الحديثة - وفروعها من سائر أفرع اللسانيات، وعلم لغة النص، أو علم اللغة النفسي العميق - مؤلف الخطاب بأن يوفرَ لمتلقيه بيئة متكاملة من السياقات البنيوية، التي تُعينه - بل تسعفه، إن جاز لنا أن نسلم بأن النص كائن حي مراوغ، يستعصى على القراءة الواحدة، أو الصوت الواحد، حيث إن مؤلف النص لا يموت، ما دام هناك تعدد للقراء، وتباين السياقات المحيطة - في الوصول إلى المحتوى القضوي الحقيقي، المقصود من وراء القوالب اللغوية والإشارية.

تلك العلاقة التداولية تتحقق؛ حين نسلم - كما هو الحال عند عبد الله الغدامي - بأن النص "عملية إبداع جمالي من منشئه؛ وعملية تذوق لهذا الجمال من متلقيه، لا يهدف إلى منفعة محضة، بل ينصب النص برمته على أبعاد جمالية، ويسعى إلى إحداث انفعال ما في النفس، أو على الأقل إثارة الدهشة، لدى متلقي بعينه".⁽²⁾ إذ إن

(1) انظر: التداولية مقاصد وأداب، د: صبري إبراهيم السيد، ط 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1440هـ / 2019م: 5-9 (بتصرف).

(2) انظر: كيف تتذوق قصيدة حديثة، عبد الله محمد الغدامي، مجلة فصول، الجزء الثاني، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو/أغسطس/سبتمبر 1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

قصده المضمن بحاجة إلى ما يدل عليه أو يكشفه؛ ليخرج من عالم الغموض⁽¹⁾ الذي يُداخل العناصر اللفظية والمقامية، إلى عالم الوضوح، مراعيًا ضوابط الاستلزام التحاوري.

ومن الجيد الإشارة إلى أن من سنن العربية أنها تستخدم طرائق متعددة، من أجل تمكين المعنى المقصود في ذهن المتلقي ونفسه، وأن العرب كانوا يحتاطون لذلك القصد المركزي، بعيدًا عن الوضوح الساذج.. أو الإيغال في التعمية والإلباس، إذ ليس هذا من دلائل الحذق أو التفنن؛ حتى وإن عمدوا إلى تعضيد بمقاصد هامشية، رغبة منهم في إحداث حالة من المراوغة الفنية، القائمة على جماليات الغموض الفني الذي يُشكله النظام اللغوي العام، بين المعيارية والمواضعة (الاستعمال والدلالات الاجتماعية للقوالب اللغوية) والذي يقف ذهن المتلقى عنده مليًا، بين قصيدة الانزياح من جهة؛ ورغبة المؤلف في إنجاح عملية الموازنة للمعنى الأصلي (تورية المعنى) من خلال الانتخاب، والعدول، أو التكرير، من جهة أخرى؛ أو اعتمادًا على العلاقة الثابتة بين مكونات القوالب اللغوية ودلالته، من جهة ثالثة.

وانطلاقًا من أن اللغة قوالب صوتية، وأبنية مقطعية، وكلمات، وتراكيب لغوية صغرى وكبرى؛ بسيطة ومركبة وتركيبية؛ يعبر بها مؤلف الكلام عن قصده، فإنها "تزخر بمفرداتها ومعانيها وتراكيبها؛ وهي تتيح لمن يشاء أن يغترف من مكنونها، والأساس - في ذلك - اختيار اللفظ المناسب (القالب الاختياري Optional المستدعى من القصيدة ولغة الاستعمال) والمعنى الملائم، والتركييب المؤدى للغرض؛ وعملية الاختيار - التي يقوم بها المنشئ، تشمل جوانب صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية".⁽²⁾

يُستفاد - من الكلام السابق - أن كل قالب لغوي، يحمل معنى نوعيًا أو رسالة فكرية،

97:

(1) ينبغي التفريق - هنا - بين نوعين من الغموض، أحدهما: (الغموض الإيجابي)، هو: غموض البنية، والذي يُقصد به: أن نسم تلك العناصر التركيبية بامتلاكها طاقة من الغموض الفني، الذي يفتقر إلى التأمل وإمعان الفكر، في محاولة استكشافه؛ والذي يسبّل عملية إقناع المتلقى واقتناعه، والآخر: (الغموض السلبي)، وهو: غموض الدلالة، ويُقصد به مغالاة المؤلف في موازنة الدلالة الداخلية عن ذهن المتلقى في نمطه السطحي، أو حتى المتلقى الضمني، ليصل إلى المتلقى المتعمق، بل قد يصل أمر هذا الغموض إلى حد التعمية.

(2) علم الأسلوب المقارن، د: حازم على كمال الدين، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1430هـ/2009م

7:

ويشكل دلالة خاصة في ذهن المؤلف، قد يتسع مجال الدلالة ليشمل تجربة حياتية خاصة، وعندما يشرع المؤلف في إنتاج قصده، ينتخب من الألفاظ، ما يصلح للتعبير عن دلالة نوعية خاصة، ويصبح لكل قالب لغوي وظيفة تعبيرية معينة، تكشف عنها طبيعة التركيب، وسياقات التلقى.⁽¹⁾

وقد كانت العرب – وما تزال- تحتاط لمعانها؛ حتى لا يخرج مؤلف الكلام بالألفاظ عن قصده المراد له، ويروغ مؤلف الكلام إلى ذلك التصرف اللغوي؛ دفعا لسوء الفهم، أو توهم غير المراد من لدن المتلقي، فإذا ما أراد تثبيته في نفس المتلقي، احتاط له؛ خشية أن يقع في طاقة تلقيه غير المراد؛ لأن المتكلم قد يتكلم بقوالب لغوية مراوغة، تجعل المتلقي يفهم غير ما قُصِد، حيث إن الاحتياط سلوك نفسي مقصود من قبل مؤلف النص.

ومن مظاهر حرصهم على الاحتياط للمعنى أنهم قيدوا الفعل بكمية إيقاع الحدث، حتى إنهم احتاطوا لدلالة الزمن، حين عبّروا بالمضارع عن دلالة التحقق في الماضي، يقول ابن جني: " ومنه قولهم: لم يَمُ زَيْدٌ. جاءوا فيه بلفظ المضارع ، وإن كان معناه الماضي، وذلك أن المضارع أسبق رتبةً إلى النفس من الماضي، ألا ترى أن أول أحوال الحوادث أن تكون معدومة، ثم توجد فيما بعد، فهذا نفى المضارع الذي هو الأصل ، فما ظنك بالماضي ، الذي هو الفرع؟".⁽²⁾ كأن إيقاع الفعل لم يكن ثمَّ كان.

وقد أدركت آلية الموازنة اللغوية أو الدلالية في ضوء الاستعمال التداولي – الإلقاء، والتقبل، والتفسير- أن الاحتياط للمعنى فيه كثيرٌ من الجمال ودو افع القبول، بالإضافة إلى ما فيه من قدرة على تعميق المعنى أو تخصيصه، والتحويط عليه ؛ حتى يبلغ متلقيه، ومن المعلوم أن المعنى كلما غمض لَدَّ، وتفعيلاً منها لذلك راغ الحَدَّاق من العرب إلى الطرائق الصرفية والنحوية والإشارية، واستعانوا بالسياقات المتعددة، بوصف السياق جانباً من جوانب بنية القوالب اللغوية ⁽³⁾ المعينة على التواصل والإفهام؛ وانتخبوا لذلك القوالب والتركيب المختلفة.

(1) انظر: علم الدلالة المقارن ، د: حازم على كمال الدين ، (د. ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د.ت)

(2) انظر: الخصائص ، ج3: 71-74

(3) انظر: ظواهر لغوية جديدة في اللغة العربية ، د: حازم على كمال الدين ، (د. ط) مكتبة الآداب ،

وكان من بين القوالب الموصوفة بالقوة اللفظية، بالإضافة إلى قوة المعنى لديهم هو قالب المصدر الصريح، الذي عبَّروا عن قوته بأبواب من أشهرها، قولهم: قوة اللفظ وقوة المعنى؛ لاسيما أن قالب المصدر يُشكِّل آلية حاسمة في تمكين القصد، إذ هو الصورة الأصلية للحدث، ودليل قوة إيقاعه أو ضعفها، وهو الأكثر تحديدًا لمعطيات دلالة القصد، أو ما يُمكن أن نسميه: مفتاح الدلالة المركزية، حين نضع عناصر الكلام بين نقيضي المركزية والهامشية.

ومما يؤيد هذا الأمر إشارة ابن جني (ت392هـ) إلى أن هذا الاحتياط للمعنى يُعد عُرْفًا لغويًا، يروغ إليه الحدَّاق من أرباب اللغة، ولعل ابن جني يعد أول من استعمل مصطلح الاحتياط للمعنى من اللغويين، في إدراك منه للوظيفة التعبيرية التي يقوم بها؛ لذا فقد عقد باين في هذا الشأن، أحدهما: "باب في الزيادة في صفة العلة لضرب من الاحتياط، والآخر: بابًا في الرد على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، فقال: "ويدلُّك على تمكُّن المعنى في أنفسهم، تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة؛ وذلك لقوة العناية به، فقدَّموا دليله، ليكون ذلك أمانة لتمكُّنه عندهم.(1)

وعدَّد ابن جني طرائق العرب في الاحتياط لمعانيها، حين أشار إلى أن زيادة المبنى تثبت لحال المزيد عليه، وأن جميع ما يورده مؤلف الكلام يحتاجه الاحتياط للمعنى؛ ويصير ذلك تأكيدًا له، وجعل من ذلك إخراج الحرف على أصله، في إشارة منه إلى الدلالة الأصلية للقوالب اللغوية، لأن ترك الأصل يؤدي - أحيانًا - إلى الإفساد على المتلقى .

ومن أدق ما تنبَّه إليه هو أن السوابق اللفظية تعد من مهمِّدات دلالة، التي تمنح اللفظ قوة، ودقة في التحويط للمعنى، وتدفع المتلقى إلى معنى ما، وأن انتخاب الأصل - للدلالة على المعنى الأصلي - هو ضرب من الاحتياط والاستراحة التواصلية، والبعد عن اللغو والخلط؛ وقد ساق مثلاً يُدلُّ به على ما ذهب إليه، من قول القائل: جاءني طلحةُ . فتقول: لم ارتفع طلحةُ؟ وساق أدلة ذلك في أن يكون الأمر لإسناد الفعل إليه، ولأنه مؤنث؛ أو لأنه علم؛ وفنَّد ذلك؛ بأنه لم يكن ذكر التأنيث والعلمية إلَّا كقولك: ولأنه مفتوح الطاء، أو لأنه ساكن عين الفعل، وإنما المرأى - من ذلك - كونه مسندًا إلى الفعل، ومن صور ذلك: إن مجيء الميم مصدرًا في أول الأسماء، المصدرية بالميم الزائدة من المشتقات والمصادر لم يكن إلَّا للمعنى.(2)

(1) الخصائص، ج 1: 190

(2) انظر: الخصائص، ج 1: 174 - 175

ومن أمثلة ذلك – أيضًا- إشارته إلى أن العرب " تُعنى بألفاظها وتصلحها، وتهذيبها، وتراعيها؛ وتلاحظ أحكامها، وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندهم، وأكرم عليها؛ وأفخم قدرًا في نفوسهم، إذ إن الألفاظ عناوين المعاني، وطريقًا إلى إظهار المقاصد، والعرب تحتفي بألفاظها؛ لتكون أوقع في السمع، وأذهب في الدلالة على القصد، فعناية العرب بألفاظها خدمةٌ منهم للمعاني، وتنويهٌ بها، وتشريفٌ لها، ونظير ذلك إصلاحُ الوعاء وتحسينه، وتركيبه، وإنما المَبْغِيُّ بذلك منه الاحتياطُ للمُوعَى عليه، وجواره بما يُعْطَرُ بِشَرِّهِ، ولا يُعَرَّجُ جَوْهَرُهُ" (1).

وقد اعتمد النُّحاة القالب اللفظي الناجم عن اختيارات المتكلم سبيلًا للكشف عن المعاني المضمنة العميقة في توجيه كثير من المسائل النحوية، والصرفية، والدلالية، حيث وجَّهوا عنايتهم إلى قصدية المتكلم، وميَّزوا بين مستويين من التراكيب عند التعرض لدراستها، مستوى التركيب العادي، وهو مستوى يكمن في رصد الصَّواب والخطأ في التراكيب، ومستوى بخلاف التركيب العادي، وهو ما يُمكن أن نسميه: التركيب الفني الجمالي، ويكمن هذا المستوى في إدراك العلاقات المتشابهة بين الجمل في التراكيب اللغوية، واكتناه أبعاد الجمال واللذة فيها .

وقد عقد ابن جني بابًا مستقلًا في الاحتياط للمعنى، مُشيرًا إلى أن للعرب طرائق تحتاط بها للمعنى، بغية تمكينه وتثبيتته في ذهن المتلقى، بحيث لا يصدم طاقة تلقيه، ولا يراوغ أفق انتظاره، على اختلاف أنماط التلقى وسياقاته في ضوء التقييد والاحتمال والفيوض الدلالي والتقبُّل، بين الذهن إلى الإنكار والجد؛ فأحيانًا تكرر الألفاظ، وأخرى تكرر المعنى، بغرض الإحاطة والعموم؛ وثالثة تقصد إلى مراعاة النوع، من التذكير والتأنيث؛ على نحو ما نرى في القوالب الاسمية والفعلية، والضمائر، ومن ذلك ما قرره من أن الأدوات قد تؤكد الأدوات، وأنهما قد تأتيان مجتمعتين لمعنى واحد، وهو التوكيد (2).

أو ما قد يقصد إليه مؤلف الكلام من الزيادات، بغية التوكيد، نحو قول القائل، حين يُريد الإثبات عن زيد، من نحو قولك : جاءني زيدٌ : أزيدٌ إنيه؟. وفي باب: رأيتُ زيدًا:

(1) وقد ساق ابن اجني أمثلة عديدة لاحتياط العرب لمعانيها، انظر الأمر تفصيلًا: الخصائص، ج 1:

(2) على نحو ما نرى من اجتماع لام الابتداء، ونون التوكيد المباشرة الثقيلة أو الخفيفة، في مثل قولنا

: لَتَقُومَنَّ، وَلَتَفْعُدَنَّ، فالنون واللام جميعها للتوكيد. انظر: الخصائص، ج 3: 77

أزیداً إنیه؛ فكما زیدت (إن) – هنا- توكیداً مع غیر(ما)، فكذلك زیدت مع (ما) توكیداً ، وكذلك إيقاع الترادف والمشاركات الدلالية بین الأفعال، فیما اتفق لفظه واختلف معناه، نحو: وجدت فی الحزن، ووجدت فی الغضب.. ووجدت فی الغنى، ووجدت فی الضالة، ووجدت بمعنی: علمت، ثم یقرر ابن جنی أن وجوه الاحتیاط فی الكلام كثيرة (1).

آلية الاحتیاط وطاقة التلقى:

تدور مادة (حوط) فی لسان العرب لابن منظور (ت711هـ/1311م) حول الرعاية، والحيطة، والحفظ، والتعهد، والأخذ بالحيطة أو بالأوثق، والتجنب؛ وتقديم كل ما فيه إزالة للشك؛ من قولهم: احتاط الرجل . أخذ فی أموره بالأحزم، واحتاط الرجل لنفسه: أخذ بالثقة؛ والحوطة، والحيطة: الاحتیاط؛ من الصيانة والرعاية والحفظ، من الإحاطة، والجمع؛ لأنه یُقصد به أنه يحوط بالشئ، وحوط كرمه تحويطاً؛ أى: بنى حوله حائطاً، والحائط: البستان من النخيل؛ إذا كان عليه حائط، وهو الجدار، وأحاط بالأمر: أى : علمه من جميع جهاته.(2) وقد ترادفت ألقاب الاحتیاط فی الدلالة على معنى الحذر، ومن مسمياته: الاحتراز، والاحتراس، التتميم؛ (قوة اللفظ لقوة المعنى) والتكميل. ويكون المقصود بالاحتیاط – هنا - ما یسلک مؤلف الكلام من انتخاب لقوالب صرفية؛ من جنس الاسم، أو الفعل، أو الخوالف، أو قوالب لغة الإفصاح، أو الحرف، ليعرض قصده للأخر بصورة جيدة ومقبولة، وتقع دلالة تلك القوالب الكلامية على مسافة متساوية بین الوضوح والتعمية، بيد أن مؤلف الكلام أقرب إلى أن يعتمد على تلك العناصر اللفظية فی الكشف عن المعنى بما توحیه من دلالات، والعلاقة بین هذا الإیحاء والمعیارية الصرفية أو النحوية علاقة نسبية ، لا تستلزم الخضوع المطلق من الأولى للأخيرة.

بل تهدف تلك الكلمة النواة إلى تَغْيِيبِ مراوغة الشكِّ، وَتَجْلِيَةِ قناع الدلالة، التي قد تخرج عن مألوف العرف فی التأویل وفقاً لصورتها البصرية، وتشغل تلك الكلمة النواة، من فئة المصدر موقع التوسط بین الوضوح، والتحدى والمباغنة لذهن المتلقى المتعرض لتفسيرها، أو لمحاولة اكتناهِ المعنى الكلى للتركيب أو النص.

ما يهم - فی هذا الموضع- هو التسليم بأن عملية إغماض المعنى أو الاحتیاط له

(1) انظر: الخصائص ، ج3: 71-79

(2) انظر: لسان العرب ، لابن منظور، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرين ، (د . ط) دار المعارف ، القاهرة، (د . ت) ، ج 2: 1052 ، مادة (حوط).

تصرف لغوى مقصود، يشكل حقاً أصيلاً لمؤلف الكلام؛ ما دام قد اطمأن إلى إمكانية وصوله إلى متلقيه المقصود، وأدرك امتلاكه لمقومات اصطلياد القصد، متجنباً - بذلك - قصدية التعمية والخلل، والإرباك، وإن اكتنفه قدرٌ من التورية أو الغموض، الذي يجب عليه - بناءً على ذلك - أن يقتنع بضرورة تقدير تلك الذات المؤلفة للقوالب والتراكيب الحاملة للمعنى، كما يلزمه أن يرجع إلى ذاته ونفسه، محاولاً استكشاف المعنى الذي قرأ في نفسه، وعرضه على أفق انتظاره، وإحساسه، وتدوقه.⁽¹⁾

نجد هذا المعنى في كلام ابن رشيق القيرواني (456هـ/1064م) حيث ذكر مصطلح التتميم مشيراً به إلى مصطلح الاحتياط، فعقد باباً، أطلق عليه: باب التتميم، وذكر أنه ضرب من ضروب الاحتراس للمعنى والاحتياط له، وهو: أن يُحاول الشاعر معنى؛ فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أوردته، وأتى به؛ إما مبالغة، وإما احتياطاً، واحتباساً من التقصير والفساد، وإما حرصاً على تمامه من النقصان.⁽²⁾ ووفاء للمعنى.

واستمر المحدثون في التأكيد على ضرورة احتياط المؤلف لمعناه، وجعل ذلك دليل لذة وحنق؛ فجعلوا من واجبات المؤلف أن يوفر لمتلقيه بيئة من الصدق والتحويط لمعناه الذي يقصد إبلاغه له، من أدلة ذلك ما أكدّه عبد الله محمد الغدامي من أنه ليس من شك في أن الاحتياط للمعنى يُتيح لمؤلف النص أن يتواصل مع الآخر، في عملية دينامية ناجحة، تُراعي أفق الانتظار، وتوفر نصاً قوياً وجيداً، وقادراً على التعبير عن القصد المركزي لمؤلفه، بعيداً عن التأويلات المحتملة، وهذا - لا شك - يجعل لغة النص لغة عالمية، ويُتيح لشعوبها ولثقافتها الهيمنة على مختلف الثقافات الفرعية، وحين يحتاط المؤلف لمعناه "يكرر المعنى ويؤكدّه، ليعمق صورته في نفسه، وفي نفس متلقيه أو قارئه؛ على نحو يكشف جزئيات المعنى المركزي، ليجعل المتلقى يتوق إلى امتلاك ملكات الغوص والتنقيب، بغية استحضار ذلك المعنى إلى ذهنه ونفسه."⁽³⁾

يقتضى هذا الاحتياط للمعنى - عند الأستاذ الدكتور محمد حسن حسن حبل - أن

(1) انظر: القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي، د: يوسف رزقه، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السابع، العدد الأول، يناير (1999م): 195

(2) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 2: 43 - 45

(3) انظر: كيف تتذوق قصيدة حديثة، عبد الله محمد الغدامي، مجلة فصول، الجزء الثاني، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو/أغسطس/سبتمبر 1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة:

يحرص مؤلف الكلام على إفهام المتلقى رسالته المضمّنة، أو قصده المركزي- حتى من قبل أن يجعلها فعلاً كلامياً منجزاً - وتوجيهه نفسياً أو فكرياً نحوها، إما بالإيجاب، من خلال سلامة أداء الكلام، وانتخاب الفصيح المحكم من القوالب اللفظية والإشارية المشيرة للمعنى، حيث إن من سنن الحس العربي أن يلدّ سماع القالب الفصيح للتعبير الصحيح، مع قصدية الإطراب والتفنن؛ فإن هذا يحمل المعنى المضمن، ويمثله تمثيلاً صادقاً؛ وإما بالسلب؛ من خلال ترك ما سلف من محددات ومعايير.⁽¹⁾

بحيث لا تتجاوز القوالب اللغوية الدلالة على المعاني التي وُضعت لها، بعيداً عن المغالاة في التفنن والتعمية والإلغاز⁽²⁾ إذ يغدو المعنى الكلي غير واضح، وبعيداً الحضور والمأخذ؛ مما يجعل المتلقى فاقداً للشعور باللذة ، إذ إن شعوره باللذة الصوتية والتدفقات الدلالية يؤدي إلى سرعة تثبيت المعنى في ذاكرته⁽³⁾ بالإضافة إلى ترخُّص السنن العربية في علة أمن اللبس؛ لأن غرض المتكلم الإفهام، واللبس يمنع ذلك، فقد يُؤتى بكلمة اختصاراً للمعنى، وتجميعاً له، أو للدلالة عليه، ومهمة الانتخاب إزالة الالتباس، والتوسع الدلالي.⁽⁴⁾

كما تُشير الدكتورّة (آمال أحمد السيد عامر) إلى أن مصطلح الاحتياط يكمن في : أن يروغ مؤلف الكلام إلى ما يلطف به معناه، عند المخاطب، بصورة تحجب كل خلط أو سوء فهم، وتحترز منه.⁽⁵⁾ مما يُشير إلى وجوب التزام مؤلف الكلام بملكات التحفظ والاحتراس من توقُّع المتلقى غير ما أراد المؤلف من دلالات، بهدف إزالة الشك لدى متلقيه، والأخذ بآليات الأحوط في مركز الذهن حول القصد المركزي الحقيقي.⁽⁶⁾ ويلفت

(1) انظر: المختصر في أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د : محمد حسن حسن جبل ،

ط2. البربري للطباعة الحديثة ، الغربية ، 2001م : 11 ، و انظر: علم الدلالة المقارن : 37

(2) انظر: من مظاهر الحداثة في الأدب ، الغموض في الشعر، محمد الهادي الطرابلسي ، مجلة فصول

، الحداثة في اللغة والأدب ، الجزء الثاني ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو /

أغسطس/سبتمبر 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة: 30

(3) انظر: نظرية القوة الإيقاعية في الخطاب اللغوي ، د : حازم على كمال الدين ، ط1 ، مكتبة الآداب

، القاهرة، 1433هـ/2012م : 23

(4) انظر: أصول النحو، دراسة في فكر الأنباري ، د : محمد سالم صالح ، ط1 ، دار السلام للطبع

والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 1427هـ/2006م : 364 - 367

(5) انظر: ضروب الاحتياط في اللغة العربية (دراسة نحوية) : 6091

(6) آليات الاحتياط الصوتي والصرفي للمعنى في قراءة حمزة ، ج 2: 187

النظر - هنا- اتفاق المعنى المعجمي والاصطلاحي للاحتياط في تمركز القوالب حول معنى معين، خشية الوقوع في سوء الفهم والتفهم، أو فهم غير المراد.

لذا فإن تصرف الاحتياط للمعنى - من جانب المؤلف - عمل فكري مقصود، وتصرف لغوي مخطط لاه، يروغ إليه مؤلف الكلام بغية الإحاطة بتمام المعنى، والأخذ بالأوثق، منتخبا دلالة معينة لكل لفظ استخدمه، ومقدما لمتلقيه بيئة من الألفاظ والمعاني والسياقات، التي تكون رافدا للإحاطة بمعناه الذي يُريده، دافعة ما يستدعي الشك والخلط عن ذهنيته، وتعدد الاحتمالات الدلالية الواردة، وله صور، من مثل ما يُمكن إجماله في: آليات الاحتياط الصوتي، والصرفي، والدلالي، والتركيبى، والتداولي، وله آليات نوعية عديدة، تشمل مختلف الصور السالفة الذكر.

حيث إن العلاقة بين الانتخاب للقوالب الصرفية واحتياط المؤلف لمعناه⁽¹⁾ فيها كثير من التشابك والتداخل، إذ إن علم الصرف يُعنى - كما أشار الإمام السكاكي (ت626هـ)- بتتبع أصول القوالب اللغوية في ضوء الوضع والملايسات والأقيسة؛ وأجناس المعاني، التي تُشير إليها تلك المبانى اللغوية، ووضع اعتبارات منضبطة لهذه القوالب في ضوء ما تحمله من دلالات اجتماعية وعرفية، بالإضافة إلى ما يُصيب بنية القالب اللغوي من زيادة أو نقصان؛ أو قلب أو إبدال؛ أو التبديل⁽²⁾ لبعض حروفها لعارض، أو النظر إلى هيئتها، وما يلحقها من تغير، بوصف تلك القوالب ممّا يقع تحت ضبط الأصول اللغوية والصرفية.⁽³⁾

حين نعقد موازنة تداولية بين قوة القالب اللغوي، كونه اسمًا أو فعلاً، أو غير ذلك من المتممات الكلامية نجد أن المصدر يقع في منطقة وسطى بين الاسمية والفعلية؛ وهذا أمر فيه خلاف بين النحاة؛ بيد أن كثيرا منهم قد جعله إلى الاسمية أقرب، يقول ابن السراج (ت316هـ): "وأما ما كان غير شخصي، فنحو: الضرب، والأكل، والعلم".⁽⁴⁾ ومن

(1) انظر: لسان العرب، ج2: 2434 - 2437، مادة: (صرف).

(2) انظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د: أحمد سعد محمد، ط4، مكتبة الآداب، القاهرة، 1430هـ/2009م: 34

(3) انظر: مفتاح العلوم، للإمام، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، ضبطه، وكتب هوامشه، وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م: 10

(4) الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، العراق، ط1973م، م1: 38

المعلوم أن في الاسم دلالة على العموم، وعدم التقيّد، بخلاف الفعل، فقيده في خضوعه لعاملَي الحدث والزمن، لذا فحين تتسابق القوالب الكلامية نحو الصدارة، أو وصولاً إلى الأصل والفرع، نجد أن المصدر "إنما سُمِّيَ مصدرًا؛ لأن الأفعال صدرت عنه، أي: أخذت منه، تشبيهاً بصدر الإبل، وهو المكان الذي ترده الإبل، ثم تصدر عنه".⁽¹⁾ معنى هذا أن المصدر قد امتلك رافدى القوة الدلالية من الاسم والفعل. وكأن المصدر يكرر الخبر.

مصطلح المصدر في اصطلاح القدماء والمحدثين:

• المصدر في اصطلاح القدماء:

تدور مادة (صدر) حول أصل الأشياء وبدايتها، ومقدماتها، والعلو، والعظمة، من أصدر الرجل، أي: عظيم الصدر؛ وأول الأمر، فإن صدر الأمر: أوله؛ والإصابة بداء الصدر والسعال؛ وكذلك تدل مادته على القوة، من قولهم: مُصَدَّرٌ، أي: قوى الصدر شديده، وقد صدر، يصدر، صدرًا، وصُدُورًا، ومصدرًا، والصدر: أعلي مقدم كل شيء، وأوله، حتى إنهم ليقولون: صدر النهار، وصدر الشتاء والصيف، وصدر الأمر أوله، وأصدرته، فصدر، أي: رجعته، فرجع، والموضع مصدر؛ ومنه قيل للموضع الذي تصدر منه الإبل: مصدر، والمصدر: أصل الكلمة التي تصدر عنها صوادر الأفعال".⁽²⁾

يفهم - من هذا الكلام- أن قالب المصدر هو أصل الاشتقاق، الذي تتصرف منه الكلمة إلى صيغ شتى، تجمعها المادة المعجمية التي عليها قالب المصدر، وتتوقف دلالتها بمحددتين، الدلالة الوظيفية، والدلالة الاجتماعية، التي يحددها الاستعمال، ويتضمن هذا المعنى أن يكون المصدر أوّل الكلام، وهو أصل اشتقاق (مادة أولية) تُشتق منها الأفعال، لذا فهو أصل كل أجناس الفعل، لذا فهو أصل الحدث The event؛ فلا يُمكن الحديث عن زمن، من دون الإحاطة بالحدث أو بإيقاع الفعل، فلو أردنا دلالة للفعل، نحو كتب، وتجر، وذهب، وحفظ؛ وأردنا تأكيد معناه لقلنا: الكتابة، والتجارة، والذهاب، والحفظ.

لذا فقد يجرى المصدر مجرى الفعل معنى، وعملاً، يقول سيبويه (ت 180هـ): "هذا

(1) الكُنَّاش في النحو والصرف، لأبي الفداء الملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732هـ)

تحقيق، د: علي الكبيسي، ود: صبرى إبراهيم، (د. ط) مركز الوثائق والدراسات الإنسانية،

جامعة قطر، الدوحة، قطر، 1413هـ/1993م: 189

(2) انظر: لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، ط دار المعارف، القاهرة،

(د. ت)، م: 4: 2413، مادة: (ص، د، ر).

باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع؛ فيعمله ومعناه، وذلك قولك: عجبْتُ من ضربٍ زيدًا، فمعناه: إنه يضرب زيدًا، وتقول: عجبْتُ من ضربٍ زيدًا بكر، ومن ضربٍ زيدًا عمرًا؛ إذا كان هو الفاعل، كأنه قال: عجبْتُ من أنه يضرب زيدًا عمرًا، ويضرب عمرًا زيدًا⁽¹⁾.

فالمصدر - في اصطلاح النحاة: بنية صرفية مستقلة، تدل على الحدث، العارى من قيد الزمن، وقد أشار سيبويه (ت180هـ) إلى هذا المعنى، حين قال، متحدثًا عن الأفعال: "وأما بناء ما مضى؛ فذهب، وسمع ومكث، وحُمد، وأما بناء ما لم يقع؛ فإنه قولك - أمرًا: اذهب، واقتل، واضرب، ومخيرًا: يقتل، ويذهب، ويضرب، ويُقتل، وكذلك بناء ما لم ينقطع، وهو كائنٌ إذ أخبرت؛ فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة، والأحداث نحو: الضرب، والحمد والقتل". (2)

لذا يسميه سيبويه: الحدث، بمعنى أن المصادر أسماء، حين نخضعها لضوابط الفعلية، بيد أنها تدل على الحدث في المعنى، ويُقصد بذلك الحدث المعنى الصادر من الفعل المجرد من الزمان، فالمصدر بنية متصلة بالفعل، يعمل عمله، سواء كان المصدر بمعنى الماضي، أو الحال، أو الاستقبال. وفي هذا المعنى يقول ابن مالك (ت672هـ):

الْمَصْدَرُ اسْمٌ مَا سَوِيَ الزَّمَانِ مِنْ	مَدْلُوْنِي الْفِعْلِ كَأَمِنْ مَنْ أَمِنْ. (3)
--	---

وقد عرّفه ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) بأنه: من الأسماء التي تعمل عمل الفعل، هو: اسم الحدث الجاري على الفعل، كضرب، وإكرام، وشرطه ألا يصغر، أو يُحدّ بالتاء، نحو: ضربته ضربتين أو ضربات، ولا يتبع قبل العمل، وأن يخلفه فعل، مع أن أو ما، عمله منونًا أقيس". (4)

• المصدر في اصطلاح المحدثين:

يكون من الجيد الاختصار على ما أشار إليه الأستاذ عباس حسن، حين يعرف المصدر، بأنه: ما دلّ على حدث مطلق، تجرّد عن الزمان؛ بمعنى أنه لا يدل على مسمي،

(1) الكتاب، ج1: 189

(2) انظر: الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3،

1408هـ//1988م، ج1: 12

(3) ألفية ابن مالك، تأليف: ابن مالك، تحقيق: مصطفى البابي الحلبي، (د. ط)، القاهرة، (د. ت)

29:

(4) انظر: شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، دار

الطلائع، القاهرة، مصر، 2004م: 392

إنما يشمل الحدث فحسب، مثل حال الفعل؛ بيد أن الأخير يُحيط بالحدث بزمنه، وهذا معناه أن المصدر لا يُشارك الفعل فيما يخص الزمن. (1) فقد شمل بهذه التعريف أبعاد دلالة المصدر، وإحاطته بالمعنى مع التوسع في قيد الزمن.

قوة القالب المصدري والاحتياط للمعنى :

ما يُهم - في هذا الموضوع - ما تمتلكه القوالب المصدرية من قدرة ذاتية واجتماعية في عرض الحدث بصورة مقيّدة له ، مع الإشارة إلى مطلق الزمن من دون تحديد، لأن المصدر هو الأصل، والفعل المعبر عن الحدث فرع، لذا جاءت قوة المصدر في تمكين المعنى من عدم تقيده بزمان من دون زمان، بل يعمل المصدر عمل الماضي، والحاضر، والمستقبل ؛ لأنه أصل لكل واحد منها .

بدليل أن عمله عمل فعله مرهون ببقائه على صيغته المصدرية المكثرة المجردة، التي صدر عنها الفعل، واشتق منها ، بالإضافة إلى أن نسبة الحدث مع المصدر أظهر وأوقع (2) فإن المعنى - مع صيغة المصدر - مضاعف ومكرر، فهو - لذلك - أشد تمكّناً في ذهن المتلقي، وأقوى لصوقاً، وأكثر تعلّقاً". (3) ودليل قوة قالب المصدر على تمكين المعنى وتثبيتته أنه يدل على المعنى منفرداً، مع استغنائه عن العامل، ويعمل عمل الفعل مع حذفه (4) لذا فهو يدل على المعنى، وعلى فعله، بالإضافة إلى كونه يصير مناسباً للفعل، حين يعمل مضافاً إلى فاعله ، وكأن الفعل ومعناه موجودان في قالبه الصرفي.

فقد يكون الاحتياط - للمعنى - بالمصدر بالعدول من صيغة إلي أخرى، من باب الاستحسان لدي ذهنية المتلقي للنص، أو لشيوخ تلك الصيغة في بيئة ثقافية ما، أو في إطار اجتماعي محدد، أو لقصدية المؤلف أن يعي متلقيه قصده، أو لارتباط إحدي الصور المصدرية بذهنية أحد مستخدمي النص، أو لاتصالها ببُعد نفسي لدي أحد أطراف الكلام، وهنا يقوم قالب المصدر بعملية البسط الموضوعي لما أراده المؤلف، ويجنب عناصر التراكيب الانغلاق الدلالي، ويُتيح للمتلقى القيام بعمليات التفسير، حين يُسهّم في

(1) انظر: النحو الوافي ، الأستاذ: عباس حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1973 م ، ج 3 : 108

(2) انظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصاري المصري ، ومعه كتاب : منتبه الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محي الدين عبد الحميد ، (د . ط) ، دار الطلائع

، القاهرة ، ومكتبة الساعي ، المملكة العربية السعودية ، 2004 م : 393

(3) انظر: شرح التسهيل ، ج 2 : 434 - 440

(4) انظر: مفتاح العلوم : 124

إبراز القصد المضمن.

وكأن ذلك أسلوب يلجأ إليه مؤلف الكلام؛ لتمكين قصده المركزي من كلامه؛ لئلا تخرج ذهنية المتلقي عنه، ولا وجدانه؛ ويتمركزان حوله، وليس من شك في أن هذا العدول الصرفي الدلالي تصرف يدفع به مؤلف النص متلقيه عن الظن والاحتمال غير المقبولة أو المرجحة، وسوء التأويل، أو حمل الكلام علي غير معناه؛ ويحيى الكلام بقوالب لغوية، تنسجم ما قصد المتكلم الاحتياط لمعناه، وتمكينه في نفس متلقيه، بُغية إنجاز عملية التواصل، بطريقة ناجحة، وذات أثرباق، وتصبح أكثر تعلقاً بنشاطات المتلقي الدماغية. وقد تنبّه ابن جني (392هـ) إلى أن للمصدر وجهاً معنوياً، غرضه توكيد الخبر، يقول: "أما الصناعات فلزيدك أنساً بشبه المصدر للصفة، التي أوقعته موقعها، كما أوقعت الصفة موقع المصدر؛ في نحو قولك: أقائمًا والناس قعودًا، أي: تقوم قيام والناس قعود، ونحو ذلك، أما المعنوي فلأنه إذا وُصف بالمصدر؛ صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل؛ وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إيّاه، ويدل على أن هذا معنى لهم، ومتصور في نفوسهم".⁽¹⁾

وفي هذا المعنى يقول ابن منظور: "اعلم أن المصدر المنصوب بالفعل الذي أُشتق منه مفعول، وهو توكيد للفعل؛ وذلك نحو: قُمْتُ قِيَامًا، وَضَرَبْتُ ضَرْبًا؛ إنما كررته؛ وفي قُمْتُ دليل لتوكيد خبرك، على أحد وجهين: أحدهما أنك خفت أن يكون من تخاطبه لم يفهم عنك أول كلامك؛ غير أنه علم أنك قلت: فَعَلْتُ فِعْلًا، فقلت: فَعَلْتُ فِعْلًا. لتردد اللفظ الذي بدأت، مكرّرًا عليه؛ ليكون أثبت عنده من سماعه مرة واحدة، والوجه الآخر: أن تكون أردت أن تؤكد خبرك عند من تخاطبه، بأن لم تقل: قُمْتُ، وأنت تريد غير ذلك، فردّدته؛ لتؤكد أنك قلته على حقيقته، فإذا وصفته بصفة، لو عرّفته دنا من المفعول به؛ لأنك فعلته نوعًا من أنواع مختلفة، وخصصته بالتعريف؛ كقولك: قلت قولًا حسنًا، وقُمْتُ القيام الذي وعدتك".⁽²⁾

وتبدو قوة المصدر في تخصيصه للمعنى الذي يُشير إليه، وفي الحدث الذي يشملها، فهو يدل على المعنى أكثر مما يدل عليه سواه، لذا فإن سيبويه يجعل المصدر أصلًا للفعل، فهو يدل على الحدث، ومن قام به، وقد تابع الزمخشري رأي سيبويه.⁽³⁾

(1) انظر: الخصائص: ج 3: 185

(2) لسان العرب، م 4: 2413 – 2414، مادة: (صدر، وصدع).

(3) انظر: المفصل في علم العربية، لجار الله الزمخشري، دار الجيل، (د. ط) بيروت، لبنان، (د).

وقد استثمر المحدثون هذا الأمر في الربط بين دلالة كل مصدر وقدره فعله في إيقاع الحدث، وقسموا المصادر إلى مجردة، وهي التي تؤدي معني الفعل فحسب، وإلى مركبة، وهي : التي تؤدي المعني الأصلي الحاصل في الفعل، مع الزيادة في الحدث، التي نتجت عن أحرف الزيادة، مثال ذلك : قولنا - في المجرد: الضرب ، وهو مصدر للفعل ضرب، وكلاهما مؤدّ معني الحدث فقط، أما اضطراب؛ فهو مصدر للثلاثي المزيد، اضطراب، وهو مؤدّ لمعني الحدث، والزيادة من الضرب والتخبُّط معاً. (1)

وفي المصدر تتغلب صيغته علي المعني، فإن كان مصدرًا سليمًا غير معتل ازدادت قوته في التأكيد علي المعني ، والاحتياط للقصد، بخلاف ما إذا أصابه اعتلال، فضعفت قوته الحجاجية، واحتاج إلى دعائم لفظية من أمثلة السوابق واللواحق، أو إرجاع المعتل إلي أصله، أو التعويض، وغير ذلك من التصرفات التي ينتخبها الذوق العربي والحس اللغوي، وتؤديها طبيعة الاستلزام الحوارية بين مؤلف النص ومتلقيه.

إذ إن الإفادة الكلامية - في الطرح التداولي- تقوم على التحديد الدقيق للقوالب الكلامية، وانتخابها من بين اختيارات متعددة، تتفاوت في قوة القيمة الدلالية أو ضعفها؛ وفق ما يتطلبه سياق التناقش، والتواصل، وكأن تأكيد القصد صار مسئولية على مؤلف النص؛ فلا يُقحم خطابه بأفعال كلامية حشوية، مما يُعدُّ لغوًا ، لا يُضيف معني جديدًا أو نوعيًا إلى محددات القصد، لذا يُشكِّل المصدر بقالبه القوى هُويَّةً للقصد؛ إضافة إلى كونه جامعًا للمحتوى القضوي الذي تحمله الرموز والإشارات، فيكون سببًا مباشرًا لإقناع المتكلم، ودفعه إلى قبول القصد، والتفاعل معه. (2)

ومبعث القوة في المصادر، وفي قدرتها علي الاحتياط لمعانها، إنما يتمثل في ديناميتها وعدم جمودها، فهي ترتكز إلي مادة ثلاثية أو غير ثلاثية، ثم تتوالد من خلال تغير الحركات والأبنية قوالب أخرى عديدة ، لكل منها معني خاص، يقترب من المعني الآخر، بيد أنه لا يطابقه ، كما أن المصادر - غالبًا - ما تكون خبرًا عن ذات، نحو قولنا : الملُكُ عدُلٌ ؛ فقد وقع المصدر - هنا- خبرًا من الأخبار.

ت: 31

(1) انظر: العربية لغة العلوم والتقنية ، د : عبد الصبور شاهين : 208

(2) انظر: دراسة الخطاب الحجاجي من منظور الجدال التداولي ، د : أحمد عبد الحميد عبد الحميد ، مجلة عالم الفكر، العدد: 182 ، أبريل - يونيو، 2020م ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

، الكويت : 47- 51

ويكون إيراد قالب المصدر الصريح من جانب مؤلف الكلام تصرفاً مقصوداً في هيئة القوالب، أو في العناصر الكلامية التركيبية المترابطة بالعلاقات المختلفة، أو ترتبها، دفعاً للتوهم؛ من اختلاط الدلالات المتواترة، والتي قد تتوافق والمخزون الدماغي والنفسي من أفق انتظار المتلقى (طاقة التلقى)، فيتمحور دور القوالب المصدرية في التركيز على القصد المراد، فتفتح دالة تلك القوالب ذهن المتلقى، بعيداً عن التخيلات الدلالية، التي قد يؤدي السياق دوراً في نقلها من المعنى اللغوي للقالب، إلى الدلالات المجازية أو الرمزية؛ فيصبح المصدر سبباً في إثباتة فائدة، التي تكمن في تأكيد معنى الفعل، نحو: قُمْتُ الْقِيَامَ.⁽¹⁾

فعندما تتغير حركاتها حروفها أو تسكن، تتشكل صيغ جديدة، لتحمل معاني جديدة، بسيطة أو مكثفة، يقينية أو محتملة، وهذا سنة من سنن العربية حيث إنَّ العرب قد كَرِهَتْ تَكَرُّرَ اللفظ الواحد بذات الصورة؛ فصيرت اللفظ الأخير على صورة تقترب من أو تبتعد عن اللفظ الأول، لكنها تؤكد معنيها، وتهدف ما وراء ذلك هدفاً دلاليّاً، أو بُعداً تفاوضياً، وهو لا يخلو من أحد وجهين، أحدهما: لا يكون ما ذكره مؤلف النص من باب التكرير لقالب لغوي فحسب؛ والآخر: أن يكون على معنى التأكيد، كأنَّ القائل إذا قال: ضَرَبْتُ ضَرْباً، أراد به: ضَرَبْتُ حَقّاً.⁽²⁾

ومن هنا جاءت قوة أخرى للمصدر؛ لأن نسبة الحدث فيه أظهر من نسبته في غيره من القوالب اللغوية. (3) إذ يُعد الاحتياط للمعنى من خلال بنية المصدر من وسائل توصيل المعنى إلي متلقيه. ذلك المعنى يكمن قصد المؤلف، الذي كان له القول الفصل في انتخاب القوالب اللغوية، وصياغتها، ووضعها في هيئة مخصصة، حسب ما دفعت إلى ذلك نفس المؤلف وذهنيته، وقد يحتاط له المؤلف، ليمكّنه لدى المتلقى؛ وكلما أراد معنى مغايراً، أعاد عمليات الانتخاب، والصياغة، والترتيب، وهو - في محاولته تأكيد معناه - يقوم بعمليات التباديل والتوافيق، في تصارع معجى، ودلالى، وتداولى، وجمالى بين الدوال ومدلولاتها النوعية والموسعة؛ حتى يكون عناصر المعنى، ومحدداته؛ حيث

(1) انظر: الاتساع (دراسة تحليلية) د: سهير أحمد محمد أحمد، مجلة كلية الآداب بسوهاج،

العدد (26)، الجزء الأول، مارس 2003م: 181

(2) انظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، أبو القاسم بن محمد بن سعيد، تحقيق: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، ط1، 2004م، 60.

(3) انظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، دار الطلائع، القاهرة، 2004م: 393

يصرُّ على إبلاغ متلقيه حالة نوعية ما، أو إيصاله بلاغاً ما، ونقل ذلك - في هيئة لفظية وتركيبية- إلى متلقيه، دافعاً إيَّاهما إلى التفاعل والمتابعة.

أبو الطيب المتنبي (ت 354هـ):

يقر الباحث بأنه أمام درس لشاعر فريد في كل ما يتصل به، فهو الأشهر من أن يُعرَّف، فقد كان فريداً في سبب موته⁽¹⁾ وعاش حياة التناقض، فمدح وهجا، وذاع صيته وتكسب، حتى أكل في أطباق من ذهب، ملك زمام اللغة، وأدرك أساليبها الرفيعة والتي تكون على قدر النوع، والموقع، والفئة، والقصد، والمعيارية النحوية، كان بيته الشعري يرفع أقواماً، ويخفض آخرين، عايش القادة والملوك والسلطين، قربه أحياناً⁽²⁾، وطردوه أخرى، تنقلت نفسه بين نفوس النبلاء والعبيد، حتى عاب الناس⁽³⁾، ولامهم⁽⁴⁾. فجاءت قوالبه اللفظية وعناصره التركيبية كاشفة لما قصد إلى إضماره أو جاءت بوصفها ردة فعل لتأثره بكل ما يُحيط بها من أشخاص وأشياء، إذ إن الاحتياط للمعنى لم يكن بالعمل الاحتياطي، ولا التصرف العبثي، لذا فقد استثمر أبو الطيب الدلالة المعجمية والتركيبية والمقطعية المشكَّلة لعناصر قالب المصدر الصريح، مستنداً - في ذلك- إلى أن كل اختلاف في صورة القالب اللفظي يتبعه اختلاف في المعنى الذي يحمله، ويعبِّر عنه .

ويُشير الباحث إلى أن أبا الطيب المتنبي يشكِّل حالة نفسية خاصة، اتخذت من القوالب اللغوية قناعاً نفسياً وسبباً ضاغطة؛ لإذاعة نرجسيتها، وإبراز غطرستها، في ترفع وكبرياء واضحين، وقد أدارت منجزها الشعري، في ضوء من محددات علم النفس العميق؛ بعيداً عن تسطيح المعنى أو توقف الانفتاح الدلالي عند حدِّ المعاني الممكنة، في قصدية تامة لكلِّ ما يقوم به، وهو يدرك أن القالب اللغوي، مستقلاً كان أم غير مستقل يصلح لأن يعكس علاقة Relation بين المؤلف أو المتلقي أو تكون عملية Process تعبيرية،

(1) شرح ديوان المتنبي، للعكبري، ج 1: ب من المقدمة.

(2) شرح ديوان المتنبي، للعكبري، ج 1: 1

(3) انظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ط 3، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، الجيزة، 2009م: 38، وانظر: أمثال المتنبي وحياته، بين الألم والأمل، وقطع مختارة من شعر المتنبي، أحمد سعيد البغدادي، ط 1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1351هـ/1932م: 5 - 27 (بتصرف).

(4) ديوان أبي الطيب المتنبي: ط من المقدمة.

تجعل المعنى حدثاً ، يقتضى البوح به ، بصورة تتعالق فيها المعانى التى تعكسها القوالب اللغوية ، والعلاقات التصويرية بين عناصر الكلام.(1)

يتضمن كلام النقاد ودارسى الأدب أنهم يكادون يُجمعون على أن أبا الطيب المتنبي يشكل مدرسة تعبيرية، لفتت - وما تزال - تلفت أنظار الدارسين من اللغويين، والأدباء، والنقاد، لعمق الفكرة داخل الصيغ التعبيرية التى يستخدمها، وتنوع وسائل التعبير عنها، فتارة يكون واضحاً ، بيد أنك سريعاً ما تجده غامضاً ، مما جعل أبا الطيب المتنبي مجاًلاً خصباً -فيما يتصل المعطيات التفسيرية- لا ينضب ، بل يزداد عطاءً مع استكشاف العديد من الطروح اللغوية الجديدة، على امتداد العصور، بين الأصالة والحدثة.

ومما يجعل أبا الطيب مجال درس وتجدد أنه كان متقلّباً فى حياته، بين البؤس والسَّعة، كان كثيرًا ما ينقم على الناس ويحتقرهم، ولعلّ الباعث إلى ذلك هو شخصية المتنبي ذاته، الذى كان لا يعبأ - كثيرًا - بمتلقيه؛ فلا يُراعى أفق انتظاره؛ أو يكون راغبًا فى إبراز تعاليه على بعض من يخاطبهم، فيغلق المعانى، أو يعمد إلى إغماض دلالاته، أو يستفز أفق انتظارهم، من خلال الإلماح إلى ما يوهم المتلقين بتوقع غير المتوقع، أو غير ذلك من طرائق الاستثارة اللفظية، كأن يستفتح قصائده بالغريب، أو غير المستعمل، طلبًا لتحقيق حيرتهم، أو إبراز تميزه عنهم، فيعوز المتلقى مفسرًا لقوالبه وتراكيبه، واحتمالاته الدلالية، وهو شاعر انتقل من حالات اليأس حتى انتقل بين الممالك، وقد أودى به - جراء تناقضاته- بيت من شعره، كما تزعم الروايات.(2)

من هذا المنطلق يصحُّ القول بأن أبا الطيب المتنبي كان مرآة مقعرة لذاته، ولو اقعده وعصره؛ فقد استطاع أن يجمع فى قوالبه الشعرية بين الذات والسياق The Context النفسى والمجتمعى، بوصفه البيئة المحيطة بالوحدة الكلامية فى التركيب الخطابى(3) فى خصوصية تجمع بين دقة الانتخاب للقوالب اللفظية - الاستبدال Paradigmatic فكان حريصًا على تحقيق الجمال التركيبى، والغموض الفنى؛ فأحيانًا

(1) انظر: تشكيل المعنى الشعرى ونماذج من القديم ، عبد القادر الرِّئاعى ، مجلة فصول ، (تراثنا الشعرى) ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ، يناير/فبراير/ مارس ، 1984 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 55:

(2) شرح ديوان المتنبي ، للعكبرى ، ج 1 : ب من المقدمة.

(3) انظر: نظرية القوالب ، من نظريات علم اللغة الحديث ، د : حازم على كمال الدين ، (د . ط) ، مكتبة الآداب ، (د . ت) : 33

يتكلم لغة مجتمعه، وأخرى ينتخب قوالب ذاتية، ليست لغيره، مما يُمكن معه أن نطلق عليه ما يسمى: اللغة النفسية ذات الخصوصية الفردية، أو الكلام النفسي للذات. وهنا - تحديدًا - ينبغي وضع كل كلمة من قوالب أبي الطيب تحت مجهر المعطيات اللغوية، والنقدية، والجمالية، وكأن الانتخاب اللغوي- لديه - صار أصلًا لكثير من النظريات في المجالات السابقة؛ إذا سلمنا بمراوغة الكلمة بل التركيب عنده، مثل ما تُصَف به شاعرنا من مراوغات نفسية، سياسية، ومذهبية، وخلقية، ومعتقدية، وما أثير حوله من وجهات متباينة، جعلت منه مثار تعجب لدى كثير من بني عصره والخالفين له.

وبعد؛ فقد آن للباحث أن يدلل على ما أطرله نظريًا، وأن يسوق نماذج تطبيقية؛ يدلل - من خلال رصد بعضها وتحليلها تحليلًا صرفيًا ودلاليًا - على ما افترضه من أن قالب المصدر يعد من أنجع الطرائق الصرفية التي احتاط بها المتنبي لمعناه، وأن يُجيب عن تساؤلات البحث حول الأسباب وراء تكثيف المتنبي من قالب المصدر الصريح، راغبًا في الاحتياط لمعناه.

الفصل الثاني:

الجانب التطبيقي للبحث⁽¹⁾، ويتأتى ذلك في محورين، هما:

المحور الأول: الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصادر الثلاثية في شعر المتنبي.
المحور الثاني: الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصادر غير الثلاثية في شعر المتنبي.
ويمكن معالجة هذا الأمر على النحو الآتي:

المحور الأول: الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصادر الثلاثية⁽²⁾ في شعر المتنبي.

1. مدخل تمهيدى:

(1) من المفيد الإشارة إلى أن أبنية المصادر وأوزانها الصرفية تختلف إلى عدة صيغ؛ منها المقيس، ومنها المسموع، ومنها الموضوع للتدريب من قبل العلماء، أو جاء عن طريق الأحاد، أو خالف سنن العربية؛ وهذه المصادر تنقسم إلى ثلاثية، ورباعية، قياسية، وسماعية. وجميعها استثمرها أبو الطيب المتنبي في الاحتياط لمعناه.

(2) حرى الباحث أن يُشير إلى أن قالب المصدر الصريح جاء بصورة مكثفة ومتنوعة بنوعيه الثلاثي وغير الثلاثي، في شعر أبي الطيب المتنبي، بيد أن الباحث قد اقتصر على بعض صور المصدر الصريح استشهادًا؛ خشية الإطناب، والتكرير، والإطالة.

ونبغى الإشارة إلى أن عناية المؤلف ليست مقتصرة على المحتوى القضى من

خطابه، بل تتجاوز ذلك إلى أنه يجعل من خطابه عناصر تداوليه تُجيب على تساؤل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ وماذا نقول؟ ومن يتكلم؟ ومع من يتكلم؟ ولأجل ماذا؟ ولأجل من؟ وما واجبات مستخدم النص، ليُزيل الإبهام عن القوالب الكلامية؟ وما هي معايير التفسير والتقبل؟ هل كان من الممكن الاستعاضة عن القوالب المستخدمة بقوالب لفظية أو تركيبية أخرى، وهل كانت ستؤدي وظيفة تداولية وتواصلية؟ هل من الأنجع التسليم بالمعنى الحرفي للقوالب اللغوية، والإشارية، والسياقية أم نخضع اصطلياد المتلقى للقصد المركزي لمحددات الميتالغة، أو الدلائل الرمزية أو النظر إلى تفسير المعنى وتوجيهه على ضوء الاستعمال والمواضعة؟⁽¹⁾ ويُمكن درس هذا المحور في النقاط التالية:

أولاً- ما أورده الشاعر احتياطاً للمعنى بقالب المصدر (فَعَالَة)، بفتح الفاء والعين⁽²⁾:

نحو قوله:

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي	وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْبِي. (3)
---	---

فالمتنبي - في هذا الموضع- يفخر بنفسه، وما يتحلَّى به من عدم الارتكان إلى التبريرات، أو الحاجة إليها، ويُشير إلى أنه لا حاجة به إلى هذا التعلل، ويؤكد ذلك فقدّم سابقة النفي الفعلية والحرفية، والتي تصدرت الشطرين، الأول والثاني، بل إنه يُشير إلى أن طموحه لا حدَّ له، ولا قيد. محاولاً حصر ذهن المتلقى حول ثبوت صفة القناعة فيه، وأنها ليست بالأمر العارض.

فليس من خصاله القناعة بالقليل، إنما هو تَوَّاق إلى المزيد من كل شيء، ليُرضي نرجسيته وذاتيته؛ فهو ليس بالمتراخي، ولا بالذي يرضي الفقر والحاجة، وقد اختار المصدر فَعَالَة، بفتح الفاء والعين؛ ليدل على تجذره هذه الصفات في نفسه، وأنها من سجاياء، وصفاته الخلقية، ليحتاط من أن يقع في ذهنية المتلقي غير ذلك؛ حيث إن صيغة فَعَالَة تدل على الثابت من الصفات والخصال.

(1) انظر: التحليل التداولي للغة (المنهج والتطبيق): 46

(2) وهو مصدريدل على الخصال وصفات الأشياء، وقد تكون زيادة التاء المربوطة فيه عوضاً عن حرف محذوف، أو عوضاً عن إماتة الحركة في المعتل، وتكون فَعَالَة للمبالغة. انظر: الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المتوفي 285 هجرية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، (د. ط)، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ج 1: 107

(3) البيت من قصيدة للمتنبى يمدح فيها سيف الدولة، من بحر البسيط، انظر: ديوان المتنبي، لأبي الطيب المتنبي، تحقيق، لجنة التأليف والترجمة، صححها، وقارن نسخها، وتعليقاتها، د: عبد الوهاب عزام، تنسيق وفهرسة، د: الشويحي، نسخة: pdf: 31

وذكر أبو البقاء العكبري أن : التعلل : ترجية الوقت بالشيء اليسير بعد الشيء؛ يقال: فلان يتعلل بكذا ، أى : يمضي به وقته ودهره؛ والإقلال : الفقر والحاجة ، يُقال : أقل؛ إذا صار إلي حالة قلة الوجود للشيء ، وهو ضد الإكثار. (1) والمعنى ، يقول أبو الطيب المتنبي : " ليس من عادتي أن أترجي بالأمل ، بل أدافع الوقت بالشيء اليسير ؛ يُريد : أنه يطلب الكثير ، ويُسافر في طلب الماء ، كقول أبي الأسود الدؤلي :

وَمَا طَلَبُ الْمُعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي	وَلَكِنْ أَلْقِ ذُلُوكَ فِي الدَّلَاءِ.(2)
---	--

لذا فقد أجاد حين أورد المصدر الثلاثي (قناعة) على وزن فَعَالَة ، وفعله: (قَنَعَ) ثلاثي مجرد، وهو مصدر ثلاثي دال علي الشدة، والجُرأة، والتمكن، وعدم الارتكان ، فاحتاط لهذا المعنى ، وهو ديمومة قناعته ، حتى إنها بمثابة الطبع فيه، وثباتها فيه : احتراساً من أن يصل مدلول الجشع أو التطلع الممقوت إلى ذهنية المتلقى ؛ وأن تلك القناعة عارضة، وأنه قليل ما يقنع، وقد أراد أن يُخبر عن اتصافه بالقناعة ، بصورة تكاد تكون خصلة ثابتة فيه ، إذ القناعة من الأفعال الثابتة ؛ كالجُرأة ، والرَداءة ، والجهالة.(3)

وقد أراد المتنبي أن يحتاط لمعناه ، فأضفي نوعاً من الجدية علي قوالبه ، إذ إن (فعالة) للثابت من المعاني ، فكانها تدل على التقرير والثبوت ، وفي هذا المعنى يقول ابن مالك: "والغالب : أن يُعْنَى بِفَعَالَة ، وَفُعُولَة المعاني الثابتة ؛ كالفَطْآنَة ، والبَلَادَة ، والجُرَاءَة ، والرَدَاءَة واللبابة ، والجهالة ، والظرافة ، والنجابة ، والبراعة والرَّهَافَة ، وَبِفُعُولَة ، كـ" السهولة ، والصعوبة ، والرطوبة ، واليبوسة ، والعذوبة ، والملوحة والرعونة ، والخشونة".(4) وهذا الانتخاب للمصدر فعالة احتياط به المتنبي عن أن يظن المتلقي به اضطراراً ، أو اكتساباً لهذه الصفة .

حيث إن القصد المركزي - الذي أراده المتنبي- لم تستطع التراكيب اللغوية - من غير المصادر الثلاثية- أن تعبر عنه، فكثُف من القوالب المصدرية ، نحو: التعلل، والقناعة، والإقلال، فقد نجحت هذه الصبغ المصدرية في تدفق الدلالة، فقررت تفسيرات استعان بها المتلقى في إدراك هذا القصد. فالمتنبي - في هذا البيت - سعى لتمكين

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمي : بالتبتيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه ، مصطفى السقا ، وإبراهيم الإيباري ، وعبد الحفيظ شلي ؛ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج 4 : 39

(2) والبيت من بحرالوافر ، انظر: شرح ديوان المتنبي ، ج 4 : 39

(3) انظر: الكتاب ، ج 4 : 11

(4) شرح التسهيل ، ج 3 : 324

فخره بشخصه وذاته، وما يتحلي بالصفات الخُلُقِيَّة، والعقلية والنفسية. وخصَّ صفة التعلل في الشطر الأول، ثم ثني بصفة القناعة في الشطر الثاني، ليقوي العلاقة بين الصفتين، نفي التعلل، ونفي القناعة، ليحتاط لمعناه، كأنه يقول: أن لا أنعلل بالأمال، وليس من خصالي القناعة، ليدل علي قوة شخصه، وحالة التفرد والثورة اللتين تملآن نفسه وعقله. ولإظهار قوة هذه الصفات والخصال فيه، وليمكنها في نفس متلقيه؛ حتي يقنع أنها سجية لديه، فجاء بالمصدر على وزن (فَعَالَة)، ولم يأت بالصفة (فَعَلَ) على وزن (فَعِل)؛ احتياطاً لمعنى قوة عقله، ورجاحته، واعتداده بنفسه، وأن هذه الخصال هي سجايا لديه، ونظير ذلك: قوله:

جُهِدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى	عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ. (1)
--	---

أورد أبو الطيب المتنبي في الشطر الأول من البيت الثاني قالب المصدر الثلاثي (الصَّبَابَةِ) ليحتاط به لمعنى التعلق، وتمكن العشق من قلب الشاعر، فصار كآلولة الصب العاشق، وتجنب انتقاص ذهنية المتلقى من مقدار حبه وتعلقه بمن أحب؛ يقول أبو البقاء: "الجهد، بالفتح: المشقة، وبالضم: الطاقة، وقيل: هما لغتان بمعنى، والصبابة: رقة الشوق، يقول: جهد الصبابة أن تكون كرويتي، وفسرهما في باقي البيت؛ بما ذكر من حاله".⁽²⁾ الشاعر يريد أن يصف حالته من العشق والوله والأرق، وخفقان القلب؛ وأنه دائم العشق لمن يُحب، فجاء المصدر (الصبابة) ليؤكد تمكن العشق من نفسه، حتى إنه سلب نومه، هدوء قلبه، فاحترس به على اللبس من قبل المتلقى، فقد يظن أنه غير عاشق، أو أن الحب لم يملك عليه ظاهرة وباطنه. ونحوًا من ذلك قوله:

ضُرِبَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِ جَهَالَةٌ	فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبَ بِهَا عَنَّا. (3)
---	--

في الشطر الثاني من البيت الثالث يستخدم المتنبي المصدر الثلاثي (جهالة) ليحتاط لمعنى الخوف الذي لحق خيل الروم؛ وثبوت جهالاتهم، والمبالغة في الاتصاف بها؛ حين

(1) البيت من قصيدة لأبي الطيب، من بحر الكامل، قالها في صباه، يمدح فيها أبا المنتصر، شجاع بن محمد بن أوس بن الرضاء الأزدى، وهي من الكامل، والقافية من المتدارك، انظر: الديوان:

(2) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 2: 332

(3) البيت من قصيدة للمتنبي، يمدح بها سيف الدولة، وكان قد توقف عن الغزو؛ لما سمع بكثرة عدد جيش الروم؛ فأنشده بحضرة الجيش، والضمير في (بها) يعود إلى السياط، من الطويل، والقافية من المتواتر. انظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، ج 4: 165

رأت خيالاً لسيف الدولة، فظنّوهم رومًا؛ فأقبلوا نحوهم مسترسلين؛ فلما تحققوا الأمر، ولّوا هارين، يقول العكبري: "ولهذا قال: جهالة، وقال: إلينا وعنا.⁽¹⁾ يفهم من الكلام السابق إصرار أبي الطيب على تكثيف معنى الخوف الذي لحق الروم، حتى إن هذا الخوف قد كان سببًا في ضياع بصرهم، فظنّوا عن جهل أن الذي يروونه هم خيل الروم، فلما اقتربوا كشف جهلهم بهيئة خيل العرب، ويُلَمَح معنى السخرية والاستهزاء من سياق الإلقاء.

نرى أن المتنبي - في إirاده الصيغة المصدرية (الصَّابَة) و(الْجَهَالَة)- قد واءم بين الصورة البصرية للقلب اللفظي، والقيمة الدلالية المستعملة؛ مستثمرًا معونة السياق الدال، الذي يُحيط بالمعنى، فقد عبّر - باستخدام الصيغة المصدرية الصَّابَة، والتي تدل على الشوق الشديد- عن تلك العين المسهدة، وذلك القلب الذي لا يكفُّ عن الخفقان، إذ وفرت له تلك الصيغة اللغوية بدائل دلالية، ناسبت قصده، ودقة انتخابه، وحسن الاستعمال، وكأنه قد قصد المعنى الحرفي (الدلالة المباشرة) لكلمة الصَّابَة، ثم أردف يفصّل ما حملته إجمالاً.

وهذا التأويل يتناسب مع أبعاد الطرح التداولي، حيث لا يكون تركيز الطرح التداولي منصبًا على ما يقوله الناس، ولكن تركز التداولية على كيف يقولونه، وكيف يفسّر الآخرون أقوالهم في السياقات الاجتماعية؛ ويُقصد بذلك تلك السلاسل الصوتية التي نصنعها عندما نتحدث، ونشكل منها معاني سطحية وأخرى مضمّنة عميقة، ونخرج من أنفسنا وجهازنا الصوتي مجموعة من العلامات التي تصاحب الأقوال، وتشكل جميعًا عناصر المعنى المراد إبلاغه.⁽²⁾

يفسّر هذا الأمر أن احتياط المتنبي لمعنى المبالغة في وصفهم بالجهل، وتكثير تلك الصفة لديهم قد جعله ينتخب بنية صرفية مصدرية، من دون أخرى، أو أن ينقل بنية من هيئة إلى هيئة ثانية؛ فتتحول دلالتها إلى أخرى؛ وكأنه يُدرك مفارقة الصورة البصرية للقلب في نسبة الخبر، ومدى إحاطتها به؛ فكل قالب صورة نوعية، ودلالة معينة، أو معنى نوعي يحمله، ويُشير إليه، مما يُحقق له غرضًا من أغراض الحياة.⁽³⁾

(1) انظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، ج 4: 165

(2) انظر: التداولية، مقاصد وأدب، د: صبرى إبراهيم السيد، ط 1، مكتبة الآداب، القاهرة،

1440هـ/2019م: 5

(3) انظر: التشابه اللفظي في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، د: عاطف حسن عبد اللاه عبد

وقد ألمح ابن جني إلى أن في إلحاق التاء المربوطة بالمصادر نكتة دلالية، فذكر أن "الهاء في نحو: رجلٌ نسَّابة، وامرأة نسَّابة، ونحو: رجلٌ علامة، وامرأة علامة؛ لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية، والنهاية فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة" (1) فقد ألحق التاء الزائدة في نهاية البنية ليبدل على التكثير والمبالغة، هذا التصرف من سنن العربية، فتأتى التاء الزائدة لتكثف المعنى الموجود في القالب اللغوي.

بالإضافة إلى ذلك فقد صرح الزمخشري (ت538هـ) بأن في التاء المربوطة دلالة على التخصيص وتقييد الدلالة، قال في الكشف: "فإن قلت: لم قال: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾" (2)، ولم يقل: ضلال، كما قالوا؟ قلت: الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفى الضلال عن نفسه؛ كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر؟ قلت: ما لي تمر؟ (3) وكأن التاء المربوطة ميّزت بين معنى وآخر، وأمدت المتلقى بما يجعله يميز الفوارق الدلالية.

ثانيًا- ما جاء على زنة (فعالة)، بكسر الفاء، وفتح العين، نحو: قوله:

أَبْنَاءَ عَمِّ كُلِّ ذَنْبٍ لِأَمْرِي	إِلَّا السَّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورٌ. (4)
--	---

الشاعر - هنا- يُفاخر بقومه، وبما يمتلكون من سجاياء ودلائل نبيل، فهم متسامحون، يغفرون كل ذنب، فيما بينهم، إلا أن يكون بينهم ساع بفعل السعاية بالنميمة، أوسىء الأخلاق، فإنهم يتجنبون هذا، من دون غفران، وذكر المصدر (السعاية) حين أراد المبالغة في التشنيع بما تحمله سمة السعاية بين الناس من لوم؛ فكان المصدر إمام المعنى. فاحتاط بالاستثناء والمصدر (السعاية) ليبدل على قبج دلالتها، وسوء من يتصف بها، فهي ذنب لا يغفره قومه، يقول أبو البقاء: يريد الشاعر أن يقول: "كل من أذنبت إليهم ذنبًا؛ فإنهم يغفرون له ذلك الذنب، إلا ذنب من يسعى بينهم بالنميمة

الواحد، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد الأربعون، مارس/2016م: 61، وانظر: علم

الدلالة المقارن: 153

(1) الخصائص، ج2: 134

(2) سورة الأعراف، 7/61

(3) الكشف، ج2: 28

(4) حين سألوهم أن ينفي الشماتة عنهم، من الكامل، انظر: الديوان: 67، 96-97، وانظر: شرح ديوان

المتنبي، للعكبري، ج2: 283

والإفساد".⁽¹⁾

فهو يُريد أن يُبرز غفران أهله، وأبناء عمومته لكل ما اقترفه الآخرون في حقهم، ثم احتاط بالمصدر، فجاء أبو الطيّب المتنبي بالمصدر (سَعَايَة)، وهو على زنة (فِعَالَة) من الفعل الثلاثي المعتل الناقص (سَعَى، يَسْعَى)، احترازاً من فهم المتلقى أنهم يغفرون جميع الذنوب، فجاء بالمصدر ليخرجه من دائرة ما يغفرونه، فاحتاط لذلك بكلمة (السعاية). فقد احتاط الشاعر للمعنى، فأتى بقالب المصدر على (فِعَالَة)؛ لأن هذا المصدر يدل على الصناعة أو الجرفة، أو السمة التي تلتصق بالبشر، فجاء بالمصدر (السعاية) ويُشير القالب المصدري (السعاية) إلى معنى السعى، والنشاط، واليقظ، والإصرار على الفعل، والهيّاج، لأنها قارب الصِّراف في الشِّتاء في دلالتها.⁽²⁾

وهذا ما احتاط منه الشاعر، بأن أورد تصرف الاستثناء، بالإضافة إلى أنه قد جاء بالسعاية ليبدل على انتهاء فعلها، وخروجها من دائرة أفق انتظار المتلقى، وفي هذا المعنى يقول سيبويه: " وقالوا: التِّجَارَة ، والخِياطَة ، والقِصَابَة ، وإنما أرادوا أن يُخبروا بالصَّنعة التي يَلِمها، فصار بمنزلة الوكالة، وكذلك السَّعاية؛ إنما أخبر بولايته، كأنه جعله الأمر الذي يقوم به".⁽³⁾ واختار ابن مالك التعبير بالحرفة بدلاً من الصنعة، قال: " وقصد الحرف بفعالة، وذكر بعضاً من أمثلة سيبويه، وزاد: والنِّسَاجَة ، والحِياكَة ، والصناعة، والحراثة، والفلاحة، والكتابة، وأشار ما أسماه: أشباهه الحرف، فقال: نحو الولايات؛ ك: الإمارة، والعِرافة، والوزارة، والنِّقابة".⁽⁴⁾

وليس من شك في أن المحيي بالمصدر الصريح (السَّعاية) على زنة (فِعَالَة) فيه احتياط لللبس المحتمل؛ فجاءت زيادة التاء المربوطة في نهاية المصدر احترازاً من الخلط وسوء الفهم، لأن التاء المربوطة تدل على المبالغة والتكثير في إيقاع التنفير من دلالة ما استثناه الشاعر، فاحتاط للمعنى بالاستثناء وقالب المصدر الصريح الثلاثي، مع أن السياق كافٍ في منع الالتباس.⁽⁵⁾

(1) شرح ديوان المتنبي، ج 2: (107): 135

(2) انظر: الكتاب، ج 4: 11

(3) الكتاب: ج 4/11

(4) انظر: شرح التسهيل، ج 3: 324

(5) انظر: دراسات في الصرف والمصطلح اللغوي، الروابدة، محمد أمين أحمد، مكتبة الرشد،

الأحساء، ط 1، 2014م: 49

ثالثًا- ما جاء على زنة: (فُعال): بضم الفاء، وفتح العين؛ نحو: قوله عن رجل بلغه

عن قومه كلامًا:

أَنَا عَيْنُ الْمُسَوِّدِ ⁽¹⁾ الْجَحْجَاجِ	هَيَّجَتْنِي كَلَابُكُمُ بِالنَّبَاحِ. (2)
---	--

يُشير سيبويه إلى أن من المصادر ما يجرى على فُعال؛ بضم الفاء وفتح العين، ويُفهم مما ساقه من أمثلة أنها تقع بين الدلالية على معانى الداء، والإشارة إلى المعانى النفسية، وذكر قولهم: نَعَسَ، نُعَاسًا، وَعَطَسَ، عُطَاسًا، وَمَزَحَ، مُزَاحًا، وأشار إلى أن هذا المصدر يرد حين يُريد المؤلف الفعل، فإن قلت: مُزاح، فقد قصدت فعل المزاح برمته، بيد أنه نبّه إلى أنه قد تكون للصوت؛ نحو: الصُّرَاخ، والنُّبَاح، لأن الصوت قد تكلف فيه من نفسه ما تكلف من نفسه في الزَّوان ونحوه".⁽³⁾

يقول أبو البقاء العكبري: " يريد: أثارتني سفهاؤكم وأغضبتني؛ ولما سماهم كلابًا، سَمَى كلامهم نُبَاحًا، ويروى: هجنتني، من الهجنة أى: نسبتني إلى الهجنة".⁽⁴⁾ الشاعر- في هذا الموضع - يهجو هؤلاء القوم، يصفهم بالضعف وقلة الفعل، وأنهم لا يملكون إلا الصوت، ومبالغة في وصفهم بالوضاعة، احتاط لهذا المعنى بأن ذكر صوت الكلاب الصارخة، التي لا تملك إلا الصوت، حتى إن مجرد التجرؤ بإصدار فعل النباح، قد أثاره وأغضبه، فاحتاط بالقالب المصدري (فُعال) دفعًا للبس، والخلط في الفهم غير هذا المعنى؛ حتى لا يرد المتلقى غير ما فهم من الضعف وقلة الفعل.

ويؤيد ابن مالك القول بأن الصيغة المصدرية فُعال، تُشير إلى ما يتصل بالعلل والأصوات، يقول: "وكون فُعال للأدواء؛ كالزُّكام، والسُّلاق، والقُباء، والصُّدَاع، والدُّوَار، والظُّهَار، والسُّلَال، والنُّحَاز، والمُشَاء، وكونه للأصوات، ك: الرُّغَاء، والثُّغَاء، والمُؤَاء،

(1) وهو: الذى جعله الناس مسودًا يسودهم، فهو سيد قومه، والجَحْجَاج: السيد العظيم، والجمع: الججاجيج، أو الججاجج، وأنشد:

ماذا بيدٍ فإلعقنقل من مرازيه ججاجج

قال أبو محمد عبد الله بن برى النحوى، في ردّه على الجوهري: بل الجمع: الججاجيج؛ وإنما حذف الشاعر الياء من الججاجيج ضرورة. وقال الجوهري: جمع الججاجج: ججاجج، وإن شئت ججاجج، وججاججة، والهاء عوض عن الياء المحذوفة، ولا بد منها أومن الياء، ويجتمعان.

(2) الديوان: 49

(3) انظر: الكتاب، ج 4: 10 - 14

(4) انظر: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 1: 242

والعواء، والخوار، والجوار، والضُّباح، والنُّباح، والنُّعاق، والنُّهاج".⁽¹⁾

فقد احتاط أبو الطيب المتنبي لمعنى تفاخره، بأنه السيد صاحب السؤدد، وضعة المخاطبين بقالب المصدر الصريح (نُباح)، التي جاءت على زنة (فُعَال)؛ معتمداً على ما في هذا المصدر من دلالة على ارتفاع الصوت، وترديده، لأن الصوت تتكثف دلالاته، وتعلق بذهن التلقى كلما تكرر، وازداد شدة. لذا كانت قوة المصدر (فُعَال) احتياطاً لمعنى تفاخر الشاعر بذاته، وتمكيناً لمعنى الضعة وقلة الفعل لدى مخاطبيه. ونحو: قوله:

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ	وَرُدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ. ⁽²⁾
---	---

يُريد الشاعر أن يدل على حيرته وتشتت نفسه، موضعاً سبب ذلك في تعلقه بالنساء الكواعب، ولحظ الحبايب، مُشيراً إلى تعلقه بهن، متودداً إليهن، راجياً مخاطبته أن يعيدوا إليه إشراق نفسه، وإقباله على الحياة، فقد جافاه الرقاد، فاحتاط لرغبته في أن يظل بين الكواعب والحبايب، فإذا ما كنت بينهم، نعمت بالرقاد العميق.

وقد استثمر أبو الطيب الدلالة النفسية للقالب المصدرى (رُقَاد)، بما فيها من حرف مد، يدل على استطالة استحضار مضمون القلب، فكأنه يرجو أمراً قد فقده، درءاً لأن يفهم المتلقى خلاف تعلقه بالكواعب والحبايب. يقول أبو البقاء: "الكواعب: جمع كاعب، وهي: الجارية التي علا نهدها، والحبايب: جمع حبيبة، والمعنى، يقول: رُدُّوا الحبايب والكواعب: ليرجع صباحي، وأبصر أُمري، ويرجع نومي إذا نظرت إليهن".⁽³⁾

أتى المتنبي في الشطر الثاني بـ(رُقَادٍ) على وزن (فُعَال) مصدراً للفعل الثلاثي (رَقَدَ)؛ احتياطاً للمعنى، وتمكيناً لمعنى القلق والأرق والتوتر النفسى الذى أصابه جراء عشقه للكواعب، فقد استحال عليه الرقاد عميق، حيث إنه لا يملكه، فقد صار ملكاً للكواعب، ورهن الحبايب. وقد جاء في البيت السابق بالمصدر (رُقَاد) (فُعَال) الذي يدلُّ على الانهزام النفسى، جراء تكلفها في طلب النوم.

من اللافت للنظر أن صيغة (فُعَال) صيغة تكاد تكون بنية نفسية، يتحكم فيها سياق التوتر النفسى، فالشاعريتعايش مع توترين، لا ينفكان يبرحانه، أحدهما مع ذاته، التي تُلج على امتلاك سمات التفرد والزوجسية، والآخر توتره مع عالمه الخارجى من

(1) شرح التسهيل، ج 3: 324

(2) البيت من قصيدة لأبي الطيب، قالها يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى، من الطويل،

انظر: الديوان: 209

(3) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبرى، ج 1: 147

السلطان، والخصوم، والأحباب، بالإضافة إلى عوالم الماديات والمحسوسات، وهي تدل على علو صُراخ النفس، بصورة نسبية، إذ قلما نجد صيغاً صرفية، في عمومها، جاءت على وزن (فُعال)، وحملت معنى ساراً، إلّا في سياق نوعي، له ضوابطه ومحدداته.

والمُتنَبّي - في البيت السابق- بين انفعالين، كلاهما يشكل ثنائيات ضاغطة من مثل : الأرق، النوم، واليقظة، والرغبة؛ وعلى أساس من هذا التوتر، احتاط المتنبي بصيغة مصدرية تحمل العديد من الانفعالات النفسية، ليشير إلى حيرته، بين حيويته النفسية وافتقادها، فجاء بال قالب المصدر على زنة فُعال. ونحو ذلك : قوله :

وَمَغْضِي كَانَ لَا يُغْضِي لِخَطْبٍ	وَبَالٍ كَانَ يُفَكِّرُ فِي هُزَالٍ ⁽¹⁾
--------------------------------------	--

يُريد أبو المتنبي أن يُثبت أن الإنسان بين تنقل من حال إلى أخرى، فإذا تمتع بالمنعة والقوة، ومصارعة الخطوب، تحتم عليه أن يتذكر الهزال والمرض، يقول أبو البقاء : " المغضي : الصابر عن قدرة ، والخطب: الأمر العظيم، وأصل الإغضاء : إطباق الجفون بعضها على بعض، يقول : كم من إنسان قد أغضى للموت، وكان لا يُغضي إلى الخطوب الشديدة، وكم من بال؛ لو رأى في جسمه هُزالاً كان يشتغل به، ويفكر في أمره، أو: كم من إنسان كان يحذر الضَّيَر ويوقعه، نزل به الموت، وأبلاه قبل ما كان يحذره ".⁽²⁾ فاحتاط المتنبي لمعنى ضرورة انشغال المرء بنفسه، بالقالب المصدر (فُعال) ليذكره بضعفه، قلة إرادته، وقد احتاط لذلك المعنى خشية أن يتبادر إلى ذهن المتلقى خاطر القوة المنفردة، ودلّ بالمد الموجود في (هُزال) على طول فعله ، وأنه أكثر امتداداً من القوة ومصارعة الخطوب.

والذي تمثله الكلمات: نُباح، وهُزال، ورُقَاد؛ ليدل على وقوع نفسه بين تفاعل المتناقضات، بين الصراخ والسكوت، بين القوة والهُزال، بين النوم والأرق، فجاء المقطع الطويل المزدوج الإغلاق: باح، زَال، قَاد، والذي يمثله الشكل المورفولوجي (ص ح ح ص)، ليدل على ضيق مساحة الاستراحة النفسية.

هذا بالإضافة إلى أن ألف المد في فُعال - والتي عبّرت عنها القوالب المصدرية (نُباح، وهُزال، ورُقَاد) - قد توسطت البنية الصرفية، أي صارت من الدواخل الأحشاء، وفيها ما

(1) البيت من قصيدة لأبي الطيب، يرثي بها سيف الدولة ، وقد توفيت بِمَيَّا قَارِقِينَ ، وقد جاء الخبر بموتها إلى حلب، سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ، وهذه القصيدة من الوافر، والقافية من المتواتر،

انظر: الديوان: 257

(2) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، للعكبري ، ج: 3 : 19

يدل على إلهاب النفس الناجم عن الارتعاد النفسي والتردد؛ بين الإغلاق والانفجار؛ والضيق والانفتاح، فتصبح الذات سلبية القدرة، محايدة، قلقة، على نحو من صفات ألف اللين، التي تخرج من دون أن يتدخل اللسان أو الشفتان في إخراجها؛ فيكون عمل اللسان والنفس من موضع واحد أخف، حيث لا قدرة على الفعل، من جانب النفس، ولا قدرة على الإغلاق من جانب اللسان أو الشفتين.⁽¹⁾

يقول سيبويه: "وقالوا: وجب القلب وجيباً، ووجف وجيفاً، ورسم البعير رسمياً؛ فجاء على فَعِيل كما جاء على فُعَال، وكما جاء فَعِيل في الصوت، كما جاء فُعَال، وذلك نحو الهدير، والضَجيج، والقليخ، والهَييق، والشحيج، فقالوا: قَلِخ البعير يقلخ قليخاً، وهو الهدير". (2) يُشير الكلام السالف إلى أنه للدلالة على الصَّوت المتكرر الشديد، يؤتى بالمصدر على وزنين صرفيين، هما: (فَعِيل) و(فُعَال).

بيد أنه – استناداً إلى القول الشهير بأن زيادة المبنى تؤدي – غالباً – إلى زيادة المعنى- تكون الصيغة المصدرية (فُعَالاً) أبلغ في التعبير عن التكثيف الدلالي من الصيغة (فَعِيل)؛ لأن امتداد المعنى وبقائه في ذهن المتلقى مع مدة الألف، أطول من تحقق ذلك مع مدة الياء؛ إذ إن الألف موضوعة للإطالة والإطلاق، ولها وضوح سمعي مرتفع.

يقول ابن جني: "ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى: العدول عن معتاد حاله، وذلك فُعَال في معنى فَعِيل؛ نحو طَوَال؛ فهو أبلغ (معنى من) طويل، وعُراض؛ فإنه أبلغ (معنى من) عَرِيض، ففُعَال - لعمري- وإن كانت أخت فَعِيل في باب الصفة، فإنَّ فَعِيلاً أخصُّ بالباب من فُعَال؛ فلما كانت فَعِيل هي الباب المُطَرَّد وأريدت المبالغة، عُدِلت إلى فُعَال؛ فصارعت فُعَال بذلك فُعَالاً، والمعنى الجامع بينهما: خروج كل واحد منهما عن أصله؛ أمَّا فُعَال فبالزيادة، وأما فُعَال: فبالانحراف به عن فَعِيل". (3)

رابعاً- ما جاء على زنة (فُعَال). يكسر الفاء، وفتح العين، نحو: نحو: قوله:

لَا تَحْسُنُ الشَّعْرَةَ حَتَّى تُرَى	مَنْشُورَةَ الصِّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ. (4)
---------------------------------------	--

(1) انظر: الكتاب، ج 4: 335-336، وانظر: المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية

91- 92:

(2) الكتاب، 14/4

(3) الخصائص، ج 3: 191

(4) حين قيل له، وهو في المكتَّب: ما أحسن هذه الوفرة !!، فقال ارتجالاً: من بحر السريع، والقافية من

المترادف، انظر: الديوان: 6

قال سيبويه: "ومما تقاربت معانيه، فجاءوا به على مثال واحد، نحو: الفِرَار، والشِّراد، والشِّماس، والنِّفار، والطِّماح، وهذا كله مُبَاعَدَة، والضِّراح إذا رَمَحَتْ برجلها؛ يُقال: رَمَحَتْ، وضَرَحَتْ، فقالوا: الضِّراح شَمَّوه بذلك وقالوا: الشِّباب، شَمَّوه بالشِّماس". (1) وأشار إلي جواز مجيء المصادر على فِعَال؛ كما جاء على فُعُول، بقوله: "بعض العرب يقولون: كذبت كِذابًا، وكتبته كِتَابًا، وحجبت حجابًا، وبعض العرب يقولون: كُتِبَ علي القياس، ونظيره: سُقْتُه سِياقًا، وَنَكَحَهَا نِكَاحًا، وَسَفَدَهَا سِفَادًا، وقالوا: قَرَعَهَا قَرَعًا". (2)

ويقرر ابن مالك أن فِعَال، بكسر الفاء موضوع لما فيه تأبُّ وتمرد، ومقاومة، يقول: "وكون فِعَال لما فيه تأبُّ؛ ك: الشِّراد، والجِماح، والقِماص، والشِّباب، والخِلاء، والجِماء، والصِّراف، والهباج، والجِران، والشِّماس". (3)

يقول أبو البقاء: "ورواه أبو البقاء: الوفرة، بدلًا من الشعرة، والوفرة: الشعر التام على الرأس، والضعفين: الضفائر، سماها بالمصدر، يقول: لا يحسن الشعر إلَّا إذا نُشرت ذوائبه، ويعنى بهذا أنه شجاع؛ وصاحب حروب، يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال، وكانوا يفعلون ذلك، تهويلًا للعدو، فالقتال يأتي للسَّوق والطرْد والدفع، ويأتي المصدر (فِعَال) للفعل الثلاثي (قَتَلَ) قَتْلًا، وَقِتَالًا". (4)

ويتصل بهذا القالب المصدري ما أورد أبو الطيب، مما جاء على وزن (فَعَال)، بفتح الفاء والعين، قوله:

تَصَرَّ الْفَعَالُ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا	خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمًا. (5)
--	---

من اللافت أن الشاعر أبا الطيب المتنبي – في البيت الثاني- قد جاء بقالب المصدر (المِطَال) على وزن (فِعَال) من الفعل الثلاثي (مَطَّلَ): للدلالة على الامتناع على التعقل، وإتيان ما يحمله قالب (الفعال) من معاني الالتزام؛ بخلاف الإصرار على فعل المراوغة، وتحقيق التباعد النفسي.

ويتضح سعيُّ الشاعر لتمكين معنى المماطلة؛ وذلك بعدم مقدرتة على المدافعة؛ لذا

(1) الكتاب، ج 4: 12

(2) الكتاب: ج 4: 7

(3) شرح التسهيل، ج 3: 324

(4) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 3: 159

(5) الديوان 9:

احتاط الشاعر بهذا المصدر الصريح، ممّا جاء على (فِعَال) ليكشف ما يقوم به المتلقى من فعل المماثلة، وهو أن جميع فعله قائم على المراوغة والمماثلة، لذا فلن ينال سؤاله، حتى إن هذا الأمر صار كالشيء المحرم، فاحتاط أبو الطيب قالب المصدر - هنا - لمعنى السخرية والتنفير، ولإعلام من يخاطبه بذمه لصفة المماثلة، وأن تلك الصفة لا تناسب العقول الراجحة، والأنفس النبيلة.

لذا يكون الاحتياط - للمعنى - بالمصدر في العدول من صيغة إلى أخرى، من باب الاستحسان لدي ذهنية المتلقي للنص، أو لشيوع تلك الصيغة في بيئة ثقافية ما، أو في إطار اجتماعي محدد، أو لقصدية المؤلف أن يعي متلقيه قصده، أو لارتباط إحدي الصور بذهنية أحد مستخدمي النص، أو لاتصالها ببُعد نفسي لدي أحد أطراف الكلام، وكأن ذلك أسلوب يلجأ إليه مؤلف الكلام؛ لتمكين قصده المركزي من كلامه؛ لئلا تخرج ذهنية المتلقي عنه، ولا وجدانه؛ وهو تصرف يدفع به مؤلف النص متلقيه عن الظن والاحتمال وسوء التأويل، أو حمل الكلام علي غير معناه.

خامساً- ما أورده أبو الطيب للاحتياط للمعنى بقالب المصدر (تَفْعَال)؛ بفتح التاء،

وسكون الفاء، وفتح العين، نحو: قوله:

وَقَدْ قَصَدْتُكَ وَالتَّرْحَالُ (1) مُقْتَرِبٌ	وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا. (2)
---	---

قال سيبويه: " هذا باب ما تكثر فيه المصدر من فَعَلْتُ، فتلحق الزوائد، وتبنيه بناءً آخر، كما أنك قلتَ في فَعَلْتُ: فَعَلْتُ، حين كَثُرَتْ الفعل، وذلك قولك: في الهذر: التَّهْذَار؛ وفي اللَّعِب: التَّلْعَاب، وفي الصَّفْق: التَّصْفَاق، وفي الرَّد: التَّرْدَاد، وفي الجَوْلَان: التَّجْوَال، والتَّقْفَال، والتَّسْيَار". (3)

تجدر الإشارة إلى أنه يتمثل احتياط المصادر للمعنى، في أن كثيراً من المصادر ما جاء " لتكثير الفعل والمبالغة، نحو: ما جاء على تَفْعَال، بفتح التاء، سماعاً؛ مثل: التهذار،

(1) ومثله قوله، من قصيدة يمدح أخاه أبا سهل سعيد بن عبد الله، من البسيط، والقافية من المتدارك، يقول:

تُهدى البوارقُ أخلافَ المياه لكم وللحب من التَّذْكَارِ نِيرَانَا.

انظر: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 4: 222

(2) البيت من قطعة شعرية من ثلاثة أبيات، لأبي الطيب، يمدح فيها محمد بن زريق، من بحر البسيط، انظر: الديوان: 55

(3) الكتاب، ج 4: 83-84

والتَّرحال ، والترداد ، بمعنى ، الهدر ، والرحيل ، والتردد ، ونحو ما جاء على تفعليل ، وهو قياسي مثل : التقطيع ، ونحو : فَعَيْلاً ، كقول عمر – رضى الله عنه: " لو أُطِيق الأذان مع الخَلِيفَا لأَذَّنْتَ " . وقول عمر بن عبد العزيز: لا رَدِيدًا في الصدقة ، أى : لا تُرد .⁽¹⁾ إنَّ وزن (التَّفْعَال) مصدرٌ للفعل الثلاثي المجرد ، مما جاء على زنة (فَعَل) ، بفتح ، ففتح ، وما لحقه من الزوائد ، جاء ليختص بالدلالة على المبالغة والتكثير ، ويُرجَّح أن أصله (التَّفْعِيل) الذي يفيد الامتداد الدلالي المقترن بالامتداد الصوتي ، فيما بعد العين ؛ بالإضافة إلى إشارته إلى المبالغة في القيام بالفعل ، والتكثير من دلالته من خلال الامتداد الزمني ، وطول استحضار المعانى ، والتدرج في تكثيفه ، وكأن المعانى قد جاءت مضاعفة مكثفة .⁽²⁾ بيد أن هذا الأمر لا نجده مطلقاً عند سيبويه ، يقول: " لو كان كذلك ، لصحَّ أن يقال: التَّهْدِير ، والتَّلْعِيب ، وليس كذلك " .⁽³⁾

ويفهم من كلامه أن التدفقات الصوتية للقالب المصدرى (تَرْحَال) (تَفْعَال) تحمل تدفقات دلالية ، وقد تمحورت حول مضمون قضوى مقصود ، إذ إن مؤلف الكلام يلزمه زيادة المقاطع الصوتية في البناء اللفظي إن أراد التكثير في المعنى ، والمبالغة في الاحتياط له ، ولها رافدان ؛ أحدهما: كُمن في التشكيل المقطعى للوحدة اللغوية (ترحال) ، والآخر: كُمن في اشتمال القالب المصدر (ترحال) على حركة طويلة في المقطع الصوتي 10 المتوسط المفتوح (ص ح ح) ، وقد توسط البنية المصدرية ، فقد تشكلت بنية القالب المصدر (ترحال) من مقطعين قويين ، مغلقين ، يحملان قوة في إيقاع الفعل ، وتكثيفاً لدلالته . ويُمكن تصوير هذا الأمر على النحو الآتى:

البنية المصدرية	الوزن الصرفي	المقطع الأول	المقطع الثانى	المقطع الثالث	ملاحظات
تَرْحَالٌ	تَفْعَالٌ	تَرُ	حَا	لُنْ	في حالة الوصل
التحليل المقطعى		ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	3 مقاطع

(1) الكُنَّاش في النحو والصرف : 188 - 189

(2) انظر: التشابه اللفظي في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية : 62

(3) انظر: الكتاب ، 84/4

تَرْحَالٌ	تَفْعَالٌ	تَرَّ	حَالَ	—	
التحليل المقطعي		ص ح ص	ص ح ح ص	—	مقطعان

في حالة الوصل، تخلصت الحركة الطويلة من المقطع الثقيل (ص ح ح ص)، وشكلت الحركة الطويلة جزءاً من بنية الكلمة، مما منحها استطالة في الصوت والدلالة، فحملت الكلمة معنى وظيفياً، بالنظر إلى معاني الكلمات الأخرى، ودلّت على تكثيف الحدث، وكان الحركة الطويلة نابت عن تكرير المعنى، مرة تلو الأخرى، حتى صارت قرينة من قرائن تأكيد المعنى.⁽¹⁾ وعبر البناء المقطعي للوحدة (تَرْحَال) بتشكيله من المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، والمقطع الطويلة المغلق (ص ح ح ص) في حالة الوقف، عن كثرة التنقل، والدوران بين الأماكن، وكأن البناء المقطعي قد عكس حالة من التوحد بين النفس والصوت.

فقد استخدم أبو الطيب قالب المصدر (الترحال) على زنة (التفعّال) حين رام توجّه الراحلة وتنقلّها بين القفار والأودية؛ نحو أطلال محبوبته، وقد أعياها الجوع وطول السفر، وبُعد الدار، فتنقلت من حال إلى حال، وقد جاء هذا الوزن بالفتح (التفعّال) ليدل على المبالغة، وتكثير الفعل حال التنقل والاضطراب. (2)

يقول أبو البقاء: "الشسوع: البعد، ونَفِدَ: فنى، والتَّرحال: الرحيل؛ المعنى: يقول: قد قصدتك عند بعد داري، وقرب رحيلي، ونفاد زادي".⁽³⁾ فالشاعر عندما أراد أن يبيّن ضعف الراحلة وعدم مقدرتها، وقلة زاده ونفاده، وبُعد دار المحبوبة عن محل راحلته، احتاط إلى معنى الإرادة وصدق العزم في التوجه إلى محبوبته، فجاء بالمصدر الدال على المبالغة والتكثير؛ احتياطاً لمعنى صدقه، وإصراره على الوصول إليها.

سادساً- مما أورده أبو الطيب للاحتياط للمعنى بقالب المصدر (فعلان). بكسر

الفاء، وسكون العين، نحو قوله:

(1) انظر: الحركة الطويلة في سورة طه، دراسة وصفية تحليلية، د: حازم على كمال الدين، ط2،

مكتبة الآداب، القاهرة: 103-107.

(2) انظر: مفتاح العلوم: 49

(3) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج1: 348

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ	وَيَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (1)
--------------------------------------	---

جعل سيبويه فَعْلَان، بفتح الفاء، هي الأصل، وفِعْلَان، بكسرهما لغة، وكلاهما دخل في اللغة، يقول: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد، حين تقاربت المعاني، قولك: النَّزْوَان والنَّقَرَان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن، واهتزازِه في ارتفاع، ومثله: العَسَلَان، والرَّتْكَان، والغَلِيَان؛ لأنه زعزعة وتحرك، ومثله: الغَثَيَان، لأنه تجيُّش نفسه وتثوُّر، ومثله: الخَطَرَان، واللَّمَعَان؛ لأن هذا اضطراب وتحرك". (2)

ثم يقول: "وقد جاءوا بالفعلان في أشياء تقاربت، وذلك: الطَّوْفَان، والدَّوْرَان، والجَوْلَان، شهبوا هذا حيث كان تقلُّبًا وتصرفًا بالغليان والغثيان؛ لأن الغليان أيضًا تقلُّب ما في القدر وتصرفه". (3) ومما جاء من بعض المصادر على فِعْلَان، وذلك نحو: "حَرَمَه، يَحْرِمُهُ، حِرْمَانًا، وَوَجَدَ الشَّيْءَ يَجِدُهُ وَجْدَانًا، ومثله: أَتَيْتُهُ أَتَيْهِ إِتْيَانًا، وقو قالوا: أَتَيَْا على القياس". (4)

ونحوًا من ذلك "ما يدل على الاضطراب والحركة، نحو: الغليان، والغثيان؛ فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال، وعدة ابن جني ذلك بابًا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وجعلته من أبواب عناية العرب بالصنعة". (5) وهنا معناه أن الصيغة المصدرية فَعْلَان تشير إلى ضرب من التقلب والتنقل من حال إلى أخرى، ك: الطَّوْفَان، والجَوْلَان، والنَّزْوَان، والخَفَقَان، والضَّرْبَان، والجَيْشَان، والثَّوْرَان، والغَلِيَان، والهَيَّجَان". (6)

أراد الشاعر أن يبين ثباته على حبه وعشقه لمحبيبته، وأنه ممتنع غير منقاد لهوى العازل، الملح عليه في البعد عنها، رغم أن الطبائع، تتقلب، والبشر ينقادون لطبيعتهم، وذكر القلب، ليؤكد معنى التقلب، والاهتزاز، والضعف. فالشاعر - لما أراد أن يصور قوة غلبة النسيان، وقوته في دوام تذكرهم، والبقاء على جهم؛ احتاط لذلك المعنى؛ بالجميء بالمصدر على الفعلان (نَسْيَان على زنة (فَعْلَان)، الدالة على مقاومة التغير والتقلب،

(1) الديوان: 259

(2) الكتاب، 14/4.

(3) الكتاب، ج 4: 15

(4) الكتاب، ج 4: 8 - 12

(5) الخصائص، ج 2: 100

(6) شرح التسهيل، ج 3: 325

واحترس من أن يأتي بالقالب اللغوي على صورة الفَعْل ، الدالة على الجمود والثبوت فحسب ، من دون إشارة إلى التحرك والاضطراب.

يقول أبو البقاء : " الطباع والطبيعة ، بمعنى واحد ، وهي الخليقة ؛ يقول : العازل يُريد من قلبي أن يسلاكم ، وقد جرى حبّكم فيه مجرى الطبيعة ، وحلّ فيه محل الخليقة ، والطبيعة لا تنقاد لناقلها ؛ ولا تتأتى لمخالفها ... قال الحكيم : نقل الطباع من ردىء الأطماع شديد الامتناع".⁽¹⁾

فجاء قالب المصدر بزيادة النون - التي للتقوية - مصدر قوة بوصفه حاملاً وظيفية تعبيرية، تجلّت تلك الوظيفة التعبيرية في ذلك الأثر الدلالي على قوة المعنى وكثرته والمبالغة فيه؛ بزيادة النون على قالب المصدر الصريح، لما يمتاز به صوت النون من التوسط والغنة، مما يتيح للمتكلم إلقاء الدفقات الدلالية بصورة مغلقة وقوية ، يُحقق بها المتكلم مزيداً من لفت انتباه المتلقى .

وقد احتاط به المتنبي عن أن يبتعد ذهن المتلقى عن معنى التحسر، وعدم جدوى التكرير لقوالب الصراخ والندم ، بالإضافة إلى أن هذا القالب قد شكّل فعلاً كلامياً تعبيرياً، لُفّظ به، ليتضمن خبراً ما ، بهدف التأثير في ذهن المتلقى ووجدانه ؛ ويدفعه نحو الفعل الإنجازي، وقد جاء القالب المصدر بزيادة النون في آخر البنية الصرفية ليبدل على رغبة الوشاة في أن يكثر المتنبي من فعل النسيان لمن يُحب؛ وهو التسليم باحتياط المتنبي لفعل التحسر وإصراره على وصل محبوبه، ليتحول المتلقى إلى دلالات الفعل التأثيري، وتتحقق - هنا- تداولية الفعل الكلامي بين المؤلف والمتلقى، حين يتجلى أثر قالب المصدر في نفس المتلقى ، وفكره ، ونظراته ، فلا يبتعد عن معنى التحسر الذي ساقه المؤلف.⁽²⁾ وكأن الإجابة على تساؤل المتلقى عن علّية تكثيف المتنبي للقوالب المصدرية في منجزه الشعري المتفرد، ليست بالأمر الساذج ، لاسيما حين نسلم بأن الانتخاب للقوالب اللغوية عامة - وهيئتها ، وترتيبها ، وما يُقصد من تحريك عناصر الخطاب الكلامي - ما هي إلا صورة منعكسة، لترتيبها، وهيئتها في نفس المؤلف ، ويحسن - هنا- الإقرار بأن المتنبي كان على دراية بواجبات مؤلف الخطاب تجاه متلقيه، كما كان مدرّكاً لدور العلاقة بين

(1) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، للعكبري ج3: 22

(2) انظر: الأفعال الكلامية في التحليل النحوي للنص القرآني عند أبي حيّان في البحر المحيط ، محمد محمود فراج حسانين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الأربعون ، مارس (2016م) :

المؤلف والمتلفى في عمليات الانتخاب، والتلفظ، والترتيب، والتحريك، فجعل إدراك المعنى والكشف عنه، أو على الأقل تقديم مقارنة تأويلية له من مسئوليات المتلقى، وإن استدعى ذلك أن يغوص داخل سراديب القوالب الشعرية بين قراءة الشكل والمعنى الترميزي لها.

واللافت - في هذا الشأن- أن المتنبي لم يعمد - في احتياطه لمعناه، بقالب المصدر- إلى تأصيل فكرة Concept لغوية سائدة، وهي أن الكثرة للكثرة أو العكس؛ بمعنى: إن كثرة البنية تؤدي - لاشك- إلى كثرة الدلالة والعكس؛ بل أقام قوة أسلوبه على أسس من الدفقات الدلالية، المنبعثة من القوى المقطعية المشكلة للهيكل المورفولوجي لقالب المصدر.

كان تكثيف المتنبي من القوالب اللغوية من جنس المصدر رغبة منه في إضفاء شعور بالصدق في منجزه الشعري، لاسيما حين تتصاعد وتيرة النرجسية أو لنقل: المغالاة في الاعتداد بالنفس، فنرى تلاحمًا لافتًا قوالب الأنا/الذات الشاعرة، والتي تمثلها ضمائر المتكلم، وقوالب المصدر التي تؤكد محتوى ما يقول، وقد غالى المتنبي في هذا الأمر، بحيث لا يمنح متلقيه؛ أيًا كان موقعه أن يمر بأفق انتظار شك في حديثه.

نجد - حين نقرب من المتنبي - أنه يمتلك ذات ليست بالسوية، في غالب أمرها، بل تبدو متعطسة، تُغلب الأنا، وتحاول التمرد على واقعها اللغوي والحياتي؛ ولا نبالغ إذا ادعينا أن شاعرنا كان نفسًا تشكل أيقونة التميز والغرابة والتفرد، فكانت ذاته رهينة التناقضات، متوترة في فعلها، مطرودة في واقعها، مجبرة على التعايش بين المناقضة والسخط، بين الرخاء والسجن والطرْد؛ قوام حياتها المعاداة والمناصرة. لذا كان يشعر دومًا أنه غير بنى جلده، يقول ابن مالك: "وكون فعيل، للأصوات؛ ك: الصَّهِيل، والتَّهْيِث، والهدير، والصَّفير، والهزير، والنَّعيب، والنَّسيب، والنَّشيج، والأزير، والعجيج، والكشيش؛ وكون فعيل، لضروب السير؛ ك: ذمل ذميلاً، ورسم رسيماً، ووجف وجيفاً، ودبَّ ديبباً".⁽¹⁾

سابعاً: مما أورده أبو الطيب للاحتياط للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (مُفْعِل)⁽²⁾ بضم الميم، وسكون الفاء وكسر العين، ومما جاء على زنة (مَفْعِل) بفتح

(1) شرح التسهيل، ج 3: 324-325

(2) تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد أورد هذا الوزن المصدري ضمن أبواب الثلاثي، لشهرته فيها، وكثرة مجيئه في استعماله منها، بوصف سابقة الميم زيادة في أصل الوضع والتصريف؛ بيد أنه يجب

الميم، وسكون الفاء وكسر العين :

يُشير سيبويه إلى أن هذه الصيغة يكثر أن تكون للموضع أو للآلة ، كما تكون للاسم أو للصفة ، وأن هذه الصيغة تُزاد فيها الميم.(1) ، وتابع ابن جني هذا الرأي ؛ فقال : " ألا ترى أن (مَفْعَلًا) لما كانت زيادته ، في أوله لم يكن مُلَحَقًا بها ، نحو: مَضْرَبٍ ، ومَقْتَلٍ ، وكذلك: مِفْعَلٍ ، نحو: مِقْطَعٍ ، وَمِنْسَجٍ ، وإن كان مَفْعَلٌ بوزن جعفر ، ومِفْعَلٌ ، بوزن هِجْرٍ ، يدل على أنهما ليسا ملحقيْنِ بهما ، ما نشاهده من إدغامهما ، نحو: مَسَدٌ ، وَمَرَدٌ ، ومِثَلٌ ، ومِثَلٌ . ولو كان ملحقيْنِ لكان حريًّا أن يخرجاً على أصولهما ، كما خرج : شملل ، وصععر على أصله . فأمنا مَحَبَّبٌ فَعَلَمٌ خرج شاذًّا ، كَتَهَّلٌ ، ومَكْوَزَةٌ ، ونحو ذلك مما احتمل لعلميته .

وسبب امتناع مَفْعَلٍ ، ومِفْعَلٍ أن يكونا مُلَحَقَيْنِ - وإن كانا على وزن جَعْفَرٍ وهِجْرٍ - أن الحرف الزائد في أولهما ، وهو لمَعْنَى ؛ وذلك أن مَفْعَلًا يأتي للمصادر ، نحو : ذهب ، مَذْهَبًا ، وودخل مَدْخَلًا ، وخرج مَخْرَجًا . ومِفْعَلًا يأتي للآلات ، والمستعملات ؛ نحو : مطْرَقٍ ، ومِرْوَحٍ ، ومِخْصَفٍ ، ومُتَزَرٍّ .

فلما كانت الميمان ذو آتِيٍّ مَعْنَى ، خَشُوا إنْ هم ألحقوا بهما ، أنْ يُتَوَهَّم أن الغرضَ فيهما إنما هو الإلحاق حسب ، فَيُسْتَهْلَك المعنى المقصود بهما ؛ فتَحَامَوْا الإلحاق بهما ؛ ليكون ذلك مُوقِرًا على المعنى لهما ؛ ويدلُّك على تمكُّن المعنى في أنفسهم ، وتقدُّمِهِ للفظ عندهم : تقديمُهُم لحرف المعنى في أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به ؛ فقدَّمُوا دليله ، ليكون ذلك أَمَارَةً لِمُتَمَكِّنِهِ عندهم "(2). ومن أمثلته : قول أبي الطيب المتنبي :

فَتَبَيَّتُ تُسْنِدُ مُسْنِدًا فِي نَيْمِهَا	إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءِ.(3)
--	---

يقول أبو البقاء: " تقدير البيت : تبيت هذه الناقة تسند مسند الإنضاء في نيمها إسادها في المهمة : ومسند : أجرى حالاً على الناقة لما تعلق به من ضميرها ، الذي في نيمها ، كما تقول : مررت بهند واقفاً عندها زيدٌ .

التنبيه إلى أنه قد يكون من الرباعي المجرد ، مما جاء على زنة (أفعل) ، ويكون مصدره : (مُفْعَل) بضم الميم وفتح العين ، نحو: أخرج ، مُخْرِجٌ ، وأدخل ، مُدْخَلٌ ، وغير ذلك من الأمثلة .

(1). انظر: الكتاب ، ج 4: 272

(2) الخصائص ، ج 1: 198

(3) البيت من قصيدة لأبي الطيب يمدح فيها أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان

يذهب إلى التصوف ، وهي من مقطوع الكامل ، انظر: الديوان : 115

والإسناد : إسراع السير في الليل خاصة ، والنثى : الشحم ، والمهمه : الأرض الواسعة البعيدة ، والإنضاء : مصدر أنضاه يُنضيه : إذا هزله ، والمعنى : أن المهمة يُنضيه كما تُنضيه ... يقول : إن هذه الناقة تببت تسير سائرًا في جسدها الهزال ، سيرها في المهمة ، وأقام الإنضاء مقام الهزال للقافية ، وكان الأولى أن يجعل مكان الإنضاء مصدر فعل لازم؛ ليكون أقرب إلى الفهم".⁽¹⁾ يُريد أبو الطيب الإشارة إلى سرعة راحلته ، وقد احتاط لهذا المعنى بالمصدر ، مسيدًا ، والذي شغل موقع المفعول ، لتمكين معنى سرعتها ، رغم ما تعانيه من عنت ومشقة ، وطول الأرض التي تقطعها . ومن أمثلة (مَفْعِل) قوله :

وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا	يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا . ⁽²⁾
--	--

يقول أبو البقاء : " يُريد أنه شيخ في شبابه : لعقله وكماله ، ورأيه ؛ وإن كان شابًا في سنّه ؛ وكم من إنسان قد بلغ حدَّ الشيخوخة ، ولم يستحق أن يُسمى : شيخًا ؛ لنقصه".⁽³⁾ يريد المتنبي أن يُشير إلى هرمه في شبابه ، وأن الكبر قد نال منه ، رغم أنه في مقتبل الشباب ، فقد جاء الشاعر- في الشطر الثاني- بالمصدر (المشيْبَا) على زن (مَفْعِل) احتياطًا للمعنى وتمكينًا له ؛ بالنفي ، واسلوب الحصر بالتقديم والتأخير ، في قوله : ليس شيخًا ، بالإضافة إلى احتياطه بالمصدر المشيب ، حتى يثبت معنى الهرم في نفس المتلقى . وقد جاء بالميم الزائدة ، في أول الصيغة المصدرية تقوية للمعنى ، حيث إنها تدل على جمع عناصر المعنى إلى ذهن المتلقى- سواء في أول الكلمة أو آخرها ، فتكون في أولها مميْدًا صوتيًا لإنشاء الدلالة ، وتكون آخرًا للدلالة على الجمع والكثرة ، على نحو ما نرى في زيادتها في الصفات نحو قولهم : رجل زرقم : من قولهم : الزُرْقَم : الأزرق الشديد الزُرْقَم .⁽⁴⁾

وقد أخذت هذه القوة (قوة اللفظ) من صفاتها الصوتية؛ إذ إنها شفوية ، تنطق بالضم والضغط ، لذا لجأ المتنبي في الاحتياط لمعناه إلى سابقة الميم ، ليضف قوة إلى قالب المصد ، الدال على التشديد ، لذا جاء بها أبو الطيب المتنبي في المصدر (المشيْب) تفخيْمًا لمعناه ، وكأنها قد جبرت الضعف الناتج عن حرف اللين ، فكان ذلك سببًا في إرهاب المعنى وتشويبه ، بالإضافة إلى تعظيم أمارات الشيب التي لا يمكن إخفاؤها ، فقد عظمت

(1) شرح ديوان المتنبي ، للعكبري ، ج 1 : 17

(2) البيت من قصيدة ، يمدح فيها علي بن مكرم التميمي ، وهو علي بن محمد بن سيّار بن مكرم ، وكان

يُحب الرمي ، انظر : الديوان : 182

(3) شرح ديوان المتنبي ، للعكبري ، ج 1 : 142

(4) لسان العرب ، ج 3 : 1827 ، مادة : (زرق ، زرق)

الميم من شأن الضعف في موازنة الشباب، بالإضافة إلى ما في قالب المصدر من حرف لين واعتلال، فدلّ على الاحتياط في التعبير عن المبالغة في الضعف.

2. تعقيب على المحور الأول:

ليس من باب المغالاة، ولا التحيز للمتنبي فكراً ولا صياغة، ولا سمات شخصية ونفسية الإقرار بأن انتخاب المتنبي لقالب المصدر من الثلاثي، لم يكن لمجرد الاحتياط للمعنى الذي يُريده فحسب، بقدر ما كان آلية لتحقيق عمق الدلالة، وانفتاحه أمام تنوع سياقات التلقى، ومحددات التفسير، بعيداً عن قصيدة المؤلف الإيهام، والتعمية، والغموض المجرد من الجماليات الفنية، في ضوء معيارية الصياغة والصناعة، وتحقيق جودة الهيئة والترتيب للعناصر الكلامية، مما يجعل من ذلك مندوحة لسمو المعنى.

جاء انتقاء المتنبي لقالب المصدر من الثلاثي معيّراً عن آلية استبدالية، ربط بها بين حالة نفسية، غلب عليها طابع التألم، وبين قدرة قالب المصدر - من خلال ما تملكه من ثراء دلالي - في التعبير عن المعنى بدقة وبصورة مقتضبة.

يُشير الاستقراء الناقص أن قالب المصدر الثلاثي قد احتاط به أبو الطيب المتنبي عن الإطناب والإطالة في مفردات المعاني وعناصرها، حيث تعدّ قوالب المصدر الثلاثي دالاً على تكثيف المعنى والاختصار فيه، مما يقوى من تثبيته في ذهن المتلقى وتمكينه في نفسه، ومبالغة في الاحتياط بقوالب المصادر الثلاثية صَدَّرها أبو الطيب الميم الزائدة، التي تعدّ مهيئاً دلالياً.

على نحو ما نرى في مفعّل، بفتح الميم، والعين، أو مِفْعَل، بكسر الميم وفتح العين، أو أورد من ما يدل على امتداد المعنى، من خلال توسيطه حركة طويلة، أدت إلى امتداد استحضار المتلقى للمعنى، حتى ينقطع امتداد حرف اللين، على نحو ما رأينا، في فعالة، وأخواتها، كذلك ألحقها المتنبي بمورفيم لاحقة التاء المربوطة، الدالة على تخصيص الدلالة، والمبالغة في تمركز الذهن حول معنى القالب المصدر.

المحور الثاني: الاحتياط الصرفي للمعنى بقالب المصادر غير الثلاثية في شعر

المتنبي:

3. مدخل تمهيدى:

عرض سيبويه (ت180هـ) أمثلة عديدة للمصادر غير الثلاثية، واشتقاقاتها المختلفة؛ وما تختص به، وما تُشير إليه من دلالات، حتى إن الجزء الرابع يكاد يشمل

قالب المصادر فحسب⁽¹⁾، وذكر ابن جني (ت 392هـ) أن قوة اللفظ تكون لقوة المعنى، وأن تكثير اللفظ لتكثير المعنى؛ بأن يعدل مؤلف الكلام عن معتاد حال اللفظ إلى حالة أخرى، ويكون المكثّر أبلغ، وأقوى في القيمة الدلالية للمعنى؛ مما يصح أن نسميه: العدول الصرفي، نحو: فُعال، بضم الفاء، في معنى فَعِيل، نحو: طُوال، فهو أبلغ معنى من طويل، وعُراض، فإنه أبلغ معنى من عريض؛ وكذلك: خُفّاف، من خفيف، وقُلّال، من قليل؛ وسُرّاع من سريع، وفُعال، وإن كان أخت فَعِيل في باب الصفة، فإن فَعِيلاً أخص بالبَاب من فُعال، فلما كانت فَعِيل هي الباب المطّرد، وأريدت المبالغة؛ عُدل إلى فُعال، فصارت فُعال بذلك فُعالاً.⁽²⁾ ويمكن درس هذا المحور على النحو الآتي:

أولاً: ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (افْتَعَال). نحو: قوله:

وَأُولَا حَيْثُ قَارُ الْأُسْدِ شَهْنَهَا بِهِمْ	وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْهَيَائِمِ. ⁽³⁾
--	---

يقول ابن الأثير (ت 637هـ): في النوع الثاني عشر من أنواع الصناعة اللفظية " فاللفظ إذا كان على وزنٍ من الأوزان، ثم نُقِلَ إلى وزنٍ آخر أكثر منه، فلا بد أن يتضمّن من المعنى أكثر ممّا تضمّنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلّة المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا يُستعمل إلّا في مقام المبالغة".⁽⁴⁾ وهذا ما يفسر زيادة القيمة الدلالية للصيغة الصرفية (افتعل) في موازنة الصيغة الصرفية (فَعَل)، وفي هذا المعنى يقول الرضي (ت 686هـ): " وللتصرف، أي: الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل؛ فمعنى كسب: أصاب، ومعنى اكتسب: اجتهد في تحصيل الإصابة بأن زاول أسبابها؛ فلهذا قال الله تعالى: (لها ما كسبت)⁽⁵⁾ أي: اجتهدت

(1) الكتاب، ج 4: 11، ما بعدها.

(2) انظر: الخصائص، ج 3: 191.

(3) البيت من قصيدة لأبي الطيب، يمدح فيها أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة، فسار إليه، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد، فمدحه بهذه القصيدة، وهي أول ما قال فيه أبو الطيب، وهي من الطويل، والقافية من المتدارك، انظر: الديوان: 198.

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين، تعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة، ط 2، 2008 م، ج 2: 241.

(5) جزء من قوله - تعالى: " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا

في الخير أو لا ؛ فإنه لا يضيع (وعليها ما اكتسبت)، أي: لا تؤاخذ إلا بما اجتهدت في تحصيله، وبالغت فيه من المعاصي".⁽¹⁾

يقول أبو البقاء : " يقول : الأسد ، وهي جمع أسد ، معدودة من الهائم ؛ ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ؛ وأقول : الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل ؛ إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام ، وهذا البيت مما وقع فيه الناس ؛ فينشدونه : شبهتهم بها ، وهو على الظاهر بين ، وإنما أعرب أبو الطيب".⁽²⁾

في البيت السابق يفاخر أبو الطيب بقومه ، مضمناً قواله التركيبية وصفهم بالأسد، وتشبيههم بها ، محتاطاً لوصفهم بالجرأة والإقدام ، وأراد تمكين هذا المعنى من الفخر ، بأن أورد القالب المصدرى احتقار، الدال على المبالغة في تزيهمم والفخر بهم ، وتجنباً لأن يعقد المتلقى مناسبة بينهم وكون الأسد من الهائم ، فجاء القالب المصدردالاً على استنكار من سوء الفهم ، وتجنباً له ، ومطالبة المتلقى بأن يبعد بينه وبين هذا الفهم ، فأجاد في إيراد القالب المصدر على زنة افتعال ، لتثبيت معنى تباعد قصده عن مضمون القالب المصدرى ؛ فجاء بالمصدر (احتقار)؛ احتياطاً لسوء الفهم ، يُشيرسيبويه إلى أنه: قد يُبنى على افتعل ما لا يُراد به شيء من ذلك ، إشارة إلى معاني الثبات وقوة الدلالة وتركزها في بيئة القالب.⁽³⁾ ونحو ذلك : قوله :

وَلَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَمَ حَجَلِي	يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ . ⁽⁴⁾
--	---

يقول أبو البقاء : " اليوم الأغر: المشهور، وأصله: البياض، والمحجل: استعارة، وهو من صفات الخيل ، والأغر: صاحب الغرة في وجهه ، والمحجل: الذي في يديه ورجليه

تَحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ سَوَاءُ عَنَّا وَآغْفِرْ لَنَا وَآزَحْمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْكُفَرِيِّنَ .

"سورة البقرة ، ٢٨٦/2

(1) شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ: رضى الدين محمد بن الحسن الاستر ابادى النحوى، مع شرح شواهد ، للعلامة البغدادي، المتوفى عام 1093 هـ، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، (د . ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402 هـ / 1982 م، ج 1: 110 (بتصرف).

(2) شرح ديوان أبي الطيب ، للعكبري ، ج 4: 116

(3) انظر: الكتاب ، ج 4: 73-74

(4) البيت من قصيدة لأبي الطيب ، يمدح فيها أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى ، انظر: الديوان :

بياض، ويكون لونه مخالفاً لها، يقول: يُريد يوماً مشهوراً، يتميز على غيره من الأيام؛ بأن تكثرفيه القتل من أعدائه، ثم يسمع بعدهم صياح النوادب عليهم، فيطول – حينئذٍ – استماعه للنوادب على الأعداء".⁽¹⁾

يُريد الشاعر يوماً يظهر فيه على أعدائه، وأن يكون هذا النصر سرمدياً، تملك أصوات النصر كل وجدانه، وقد احتاط لرغبته في عدم انقطاع ذلك النصر بالقالب المصدر استماعي، ليدل على إنشغال سمعه ونفسه بأصوات النصر، وصراخ القتل. ونظير ذلك: قوله:

أَمِنْ أَرْذِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ	إِذْ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ. ⁽²⁾
--	--

يقول أبو البقاء: "ويُروى: أنت من الظلام ضياء. فيكون مبتدأ وخبر، وعلى الرواية المشهورة: إذ حيث كنت. فيكون (ضياء) ابتداء، وخبره (حيث): وتقديره: الضياء حيث كنت مستقر. وهو العامل في (حيث)، و(إذ): ظرف للأمن، تقديره: أمنوا ذلك؛ إذ كنت بهذه الصفة. وقال الواحدى: ضياء: ابتداء، والخبر: محذوف، تقديره: ضياء هناك، و(كان) لا تحتاج إلى خبر، لأنها في معنى: حصلت أو وقعت، والازديار: افتعال من الزيارة، والدُّجَى، والدُّجَيَّة: ظلمة الليل، والرُّقْبَاء: جمع رقيب، وهو الحافظ الناظر الحارس، كشریف، وشرفاء، وكريم وكُرماء، وسفيه، وسُفهاء، يقول: يُريد أن الرقباء قد أمنوا أن تزورني ليلاً؛ لأنك بدل من الضياء في الليل، لأن نورك يُزيل الظلمة، كما يُزيلها نور الصباح".⁽³⁾

وقد سعى لتمكيته لمعنى حرصه على زيادة محبوبته، وتثبيته في نفس المتلقي؛ فاحتاط لذلك بالمجيء بالمصدر (ازديارك): فقال: (أَمِنْ أَرْذِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ؟). جاء بالمصدر ليدل على تكثيف دلالة الضوء في زيادة محبوبه. ونظير ذلك قوله:

وَاعْتَفَارُ لَوْ غَيْرَ السُّخْطِ مِنْهُ	جُعِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالُ النِّعَالِ. ⁽⁴⁾
---	---

(1) انظر: شرح ديوان أبي الطيب، للعكبري، ج 1: 150

(2) البيت من قصيدة لأبي الطيب يمدح فيها أبا على هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب. وكان يذهب إلى التصوف، وهي من مقطوع الكامل، انظر: الديوان: 114

(3) شرح ديوان أبي الطيب، للعكبري، ج 1: 13

(4) البيت من قصيدة لأبي الطيب، يمدح فيها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي، وهو من بحر الخفيف، والقافية من المتواتر. انظر: الديوان: 115، وانظر: شرح ديوان المتنبي، للعكبري، ج 3

يقول أبو البقاء : " عطف (اغْتَفَار) على قوله : (قلة الأشكال) في البيت السابق، والكناية في (هامهم) ترجع إلى الأعداء المرادة ، بقوله : عيش شانيك . والاعتقار: افتعال من الغفران، من غفرله، و اغتفر؛ يقول : كفاك القتال عفوك وتجاوزك؛ ولو غيَّركَ السُّخْطُ، دُسَّتْ رءوس الأعداء بحو افرخيلك، حتى تصير نعالاً لنعالها ، ونقل أبو البقاء قول أبي الفتح : " لو أحفظوك وحملوك على ترك الاعتقار لأهلكتهم، وأحسن في كنياته عن الحفيظة ، بقوله : لو غيَّر السُّخْطُ ... وهو لفظ عذبٌ ، تقبله النفوس"(1).

فالشاعر جاء بالمصدر (اغْتَفَار)، والزيادة في المبني تدل- في الغالب - على زيادة في المعنى؛ لأنه لما صدر خطاب به بقالب المصدر، يُريد أنه لم يمكنهم من مضمون المصدر وهو اغتفار فعلهم، بل سيقابلهم بالسخط و الضعة والإهانة ، فاحتاط بالمصدر من وقوع الغفران في خلد أعدائه

إن في تصرف أبي الطيب ببنية المصدر الخماسي، مما يكون على (افتعال) ما يشكّل نوعاً من التقابل بين الصياغة اللفظية والبعد النفسي؛ فنفس أبي الطيب دائمة التوليد للمعاني، ومن اللافت أن الصيغة المصدرية(افتعال) تدل على اختزال لقيم دلالية بين عناصرها، لا يُمكن وصف بنيتها المقطعية بالفراغ الدلالي في أحد أجزائها.

ثانياً- ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة

(تَفَعَّلَ). بفتح التاء، وفتح الفاء، مع تشديد العين وضمها، نحو: قوله:

وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ	وَدَوَّابِلٌ وَتَوَعَّدٌ وَتَهَدَّدٌ (2)
-------------------------------------	--

يقول سيبويه: " وأما مصدر تَفَعَّلَ ، فإنه التَفَعَّلَ ، جاءوا فيه بجميع ما جاء في تَفَعَّلَ ، وضمُّوا العينَ ؛ لأنه ليس في الكلام اسم على تَفَعَّلَ ، ولم يُلْحَقوا الياءَ ، فيلتبس بمصدر فَعَّلَ ، ولا غير الياءَ ؛ لأنه أكثر من فَعَّلَ ؛ فجعلوا الزيادة عوضاً عن ذلك ؛ من ذلك قولهم: تَكَلَّمْتُ تَكَلُّماً ، وتَقَوَّلْتُ ، تَقَوُّلاً"(3).

يقول أبو البقاء : " قوله : هَواجل، وما بعده : عطف على (نارحرب) في البيت الأول، والهَواجل : جمع هوجل، وهى : الأرض الواسعة، والصَواهل: الخيول، والمنَاصل: السيوف، والذوابل: الرماح، والهَواجل – أيضاً – النوق، ويجوز أن يُريد بها النوق، قالوا:

(1) شرح ديوان أبي الطيب ، للعكبري ، ج 3 : 199

(2) البيت من قصيدة لأبي الطيب ، يمدح بها شجاعاً بن محمد الطائي المنبجي ، من بحر الكامل.

انظر: الديوان: 42

(3) الكتاب، 79/4.

ليكون أليق بالبيت؛ لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل. يقول: دون الوصول إليها هذه الأشياء المذكورة: لمنعتها وعزتها، وعزة قومها".⁽¹⁾

وقد استثمر أبو الطيب رافدين للاحتياط لمعناه: أحدهما: الإعراب، إذ به تتحدد المعاني؛ وعليه يتوقف تمام الدلالة، وكأنه ربط للفكرة بالكلمات، والآخر: إيقاع البناء المقطعي للصيغة المصدرية (توعَّدُ، وتهدَّدُ) في التهويل على من يسمعه وإلهاب نفسه؛ فجعل لكل كلمة إيقاعين، الأول: ذهني في ربط المعنى بالكلمات، والثاني: جمالي فني، تحقق من خلال التناسب الإيقاعي للمشكل لبنية المصدر؛ وهذا من شأنه أن يجعل للكلمات وقعا نفسيا مؤثرا في ذهن المتلقى، وكأنه محاصر ومطارد.⁽²⁾

وقد فعل هذا؛ ليحقق تناسبا بين انقسام الصيغة الصرفية إلى مقاطع متدفقة قوية مغلقة من المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، والتي بدت سيطرته على الصيغتين الصرفيتين، وبين انقسام نفس المتلقى؛ رهبة من قوة ما يرى من الخيول والنوق، مما يوحي بالهجرة والمطاردة، فكأن تدفق المعنى من خلال تدفق المقطع (ص ح ص) نذيرا بمتابعة الفرار، حال متابعة الطرق، وقد احتاط به لمعنى الخشونة والقوة. ونحوًا من ذلك: قوله:

عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ	تَوَحُّشٌ مِلَقَى النَّصْرِ مُقْتَبِلٌ. ⁽³⁾
--	--

يقول أبو البقاء: "اللام في قوله: (مِلَقَى) لام الأجل، أي: لأجل خروجه عن حلب، والأعاصير: جمع إعصار، وهي الريح تلتف بالغبار، وتعلو مستطيله؛ والمقتبل: الذي تناهى شبابه، وليس عليه للكبر أثر، وقال الواحدي: المقتبل: الذي تقبله العيون، وحلب: مدينة معروفة، ونهر الفرات: نهر كبير معروف ... يقول: إن على الفرات غبرات، تثيرها كتائب سيف الدولة، وفي حلب دار مستقرة، وحشة لملك قد عوَّده الله الظفر على أعدائه، ولقاه النصر في مقاصده، مقتبلاً في شبابه، متناهياً في قوته. وقال الواحدي: على الفرات رياحٌ فيها غبار، لكان جيش أخيك ناصر الدولة؛ وفي حلب وحشة، لأنك

(1) شرح ديوان أبي الطيب، للعكبري، ج 2: 330

(2) انظر: كيف تتذوق قصيدة حديثة، عبد الله محمد الغدامي، مجلة فصول، الجزء الثاني، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو/أغسطس/سبتمبر 1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 100

(3) البيت من قصيدة لأبي الطيب، قالها، حين سار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه، انظر: الديوان: 265

بعدت عنها ، ويُريد بملقى النصر: سيق الدولة ؛ لأنه يلقي النصر، من حيث قصد (1).
 فالشاعر أبو الطيب المتنبي أورد قالب المصدر الدال على التغيُّر والتبدُّل، فقال
 (تَوْحُّشٌ)، احتياطاً للمعنى الذي سعى لتمكينه وتثبيتته لدى المتلقي؛ وهو: المفارقة بقوة
 جيوش سيف الدولة، وكثرة أعدادهم، وجلبتهم، فيما يثيرونه من الأعاصير، وتوحشهم،
 التحويل على من يعادهم احتياطاً من الاستهانة بشأنهم ، فالمجيء بمصدر الخماسي فيه
 معنى التكلف والاجتهاد، فقد حمل الذات الفاعلة وإرادة ، وإصرارها في حصول الفعل
 حقيقةً بالتصرف والاجتهاد في تحصيل أصله، فهذا التواتر المقطعي في المصدر تفعل ،
 أذاع قوة جيوش سيف الدولة ، وصار معلوماً ، فقوته المصدر الصوتية والمقطعية أصلت
 دلالة التخويف والإلهاب لنفوس للأعداء، وقد احتريزت من الاستهانة بهم (2).

ثالثاً- ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة
 (تَفْعِيل)، بفتح التاء، وسكون الفاء، وكسر العين الممدودة ، نحو قوله :

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً	مَيِّ إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّأْمِيلاً (3)
--	--

يقول سيبويه : " وأما فَعَلْتُ فالمصدر منه على التَّفْعِيل ، جعلوا التَّاء التي في أوله ،
 بدلاً من العين الزائدة في فَعَلْتُ ، وجعلوا الباء بمنزلة ألف الإفعال ، فغَيَّرُوا أوله ، كما
 غيروا آخره . وذلك قولك : كَسَرْتَهُ تكسيرًا ، وَعَذَّبْتُهُ تعذيبًا " (4) ذاكراً أن مؤلف الكلام
 عند إرادة التكثر ينتخب تلك القوالب المضعفة ، لاسيما ما كان على (فَعَلْتُ) ، يقول :
 كما أنك قلت – في فَعَلْتُ : فَعَلْتُ ، حين كَثُرَت الفعل " (5).

وقد أشار ابن جني إلى " أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل ،
 فقالوا : كَسَرَوْقَطَعَ ، وَفَتَحَ ، وَغَلَقَ ؛ وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني؛ فأقوى
 اللفظ ينبغي أن يُقَابِلَ به قوةُ الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام؛ وذلك لأنها واسطة
 بينهما ، ومكنوفة بهما ، فصارا كأنهما سِجَاجٌ لها ، ومبذولان للعوارض دونها " (6).
 ويقول : " فلما كانت الأفعال دليلاً المعاني كَرَّرُوا أقواها ، وجعلوها دليلاً على قوة

(1) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، للعكبري ، ج 3 : 36

(2) انظر: الفعل في اللغة العربية ، بحث في تولُّد الصيغ وانتظامها، الأزهر الزناد ، مركز النشر
 الجامعي، تونس، 2017م : 150.

(3) قاله لصديق له في صباه ، من بحر الكامل ، والقافية من المتواتر ، انظر: الديوان : 19

(4) الكتاب، 79/4

(5) الكتاب ، ج 4 : 83 ، (باب ما تكثر فيه المصدر من فَعَلْتُ).

(6) الخصائص ، ج 2 : 102

المعنى المحدث به ؛ وهو تكرير الفعل ، كما جعلوا تقطيعه في نحو: صرصر وحقق دليلاً على تقطيعه؛ لم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام؛ لكرهية التضعيف في أول الكلمة، والإشفاق على الحرف المضعف أن يجيء في آخرها ، وهو مكان الحذف، وموضع الإعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل ، فهذا - أيضاً - من مساوغة الصيغة للمعاني⁽¹⁾.

يقول أبو البقاء : " المعنى : قال أبو الفتح : ما ذكره يحتمل معنيين ، أحدهما: أن يكون أهدى إليه شيئاً ، كان أهداه إليه صديقه الممدوح، والآخر: أن يكون أراد أنى جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى؛ وتزوّدنيه وقت فر اقلك هدية، منى إليك؛ أى : أسألك ألا تتكلفه لى ، وقال العروضى - فيما أملاه مما استدركه على ابن جنى: أراد أنك تحب أن تعطيني، فجهلت قبول هديتك إلى هدية منى إليك، لحبك ذاك. وقال الواحدى : وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته في المكارم ، واشتياقه إليها ؛ وقوله : وظرفها التأميلا. الظرف : وعاء الشيء ...

يقول: جعلت تأميلي مشتملاً على قبول الهدية، كاشتغال الظرف على ما فيه؛ والهدية مختلفة على الأقوال المذكورة؛ فعلى الأول: هدية أهداها الممدوح، فعادت إليه؛ وعلى القول الثاني: أن لا يهدى الممدوح إلى المادح شيئاً، وعلى القول الثالث: أن لا يهدى إلى المتنبي شيئاً؛ فتكون كما لو أهدى إليه لحبه الإهداء للمتنبي⁽²⁾.

يُريد أبو الطيب المتنبي أنه لن يقبل تلك الهدية، بل سيكتفى بالتعبير عن قبولها بتأملها، على نحو اشتغال الظرف لما فيه من الهدايا، واحتاط لهذا المعنى بالقالب المصدر (التأميلا) ليدل على عدم قبولها له بالكلية، إنما سيكتفى بالنظر إليها؛ ونحو ذلك: قوله:

يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ	وَيَسْتَغْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفٌ ⁽³⁾
--	---

يقول أبو البقاء: " قَطَّبَ وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً ، يقول : وهو مهيب عند الكلوح ، وإذا نطق بحرف من لفظه قام مقام الكلام الكثير ، يجمع المعاني الكثيرة في

(1) الخصائص ، ج 2 : 103

(2) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، للعكبري ، ج 3 : 179

(3) البيت من قصيدة المتنبي ، يمدح فيها أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي ، من الطويل، والقافية من المتواتر انظر: الديوان : 97

الألفاظ القليلة".⁽¹⁾ فالشاعر يضيف على ممدوحة نوعاً من الجدية، والصرامة، والتأني في إخراج الألفاظ، وقد احتاط لهذا المعنى بالقالب المصدري (تقطيب) الدال على الصورة البصرية للجدية والصرامة، فعبر بعبوس الوجه عن معنى الجدية. وكما قال:

وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ	وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ. ⁽²⁾
---	---

يقول أبو البقاء: "ومن روى: عيب، وفخر، بالرفع، فقد جعل (ما) تيمية، ومن نصيها، جعلها حجازية؛ وهي بمعنى: ليس ...

يقول: "رب تأنيث يقصر التذكير عنه، ولا يبلغ مبلغه، ولا ينال موضعه؛ ثم يئن ذلك بأن الشمس مؤنثة، والفضل لها، والقمر مذكر؛ وليس يُعدل بها، وقد احتج لتفضيل المرأة على الرجل بحجة، لم يسبق إليها، لأنه أراد أن الشمس مؤنثة، وهي النور الذي يزعم بعض الناس أنها تُنير في السماء، كما تُنير في الأرض، ووصف الهلال بالتذكير، وهو كثير التنقل، ويُصيبه المحاق، فجعل ذلك كالنقص فيه".⁽³⁾ يريد أبو الطيب المتنبي أن يعبر عن المبالغة والتكثير في صفتي التذكير والتأنيث، واحتاط لذلك بالقالب المصدري على زنة (تفعيل)، حتى لا يُظن بوجود عيب في التأنيث، أو فخر في التذكير.

جاء المتنبي بالمصدر (تأميل، وتقطيب، وتأنيث، وتذكير) على زنة (تفعيل) من الرباعي، مما كان على زنة، فعَل، بتضعيف العين، نحو: (أَمَل، وقَطَب، وأَثَّ، وذَكَّر)، والقالب المصدري (تفعيل) هو صيغة قياسية للفعل (فَعَّل)، بتضعيف العين، الدالة على تكثير الفعل والمبالغة فيه، حيث إن تكرير العين، والتي تمثل جوهر البنية المصدرية، فيه تكرير للمعنى، وهو جل ما يهم المؤلف والمتلقي، وكأن في تكرير العين تكريراً للمعنى الذي تحمله البنية، بصورتها الكلية، فأتى بقالب المصدر (تفعيل) ليشير إلى امتلاك بنية المصدر القدرة على إيقاع الحدث، من دون تراخ أو تباطؤ.

ويُفهم من كلامه أن التدفقات الصوتية للقالب المصدري (تفعيل) تحمل تدفقات دلالية، وقد تمحورت حول مضمون قضوى مقصود، إذ إن مؤلف الكلام يلزمه زيادة المقاطع الصوتية في البناء اللفظي؛ إن أراد التكثير في المعنى، والمبالغة في الاحتياط له. ولها رافدان؛ أحدهما: كُنْ في التشكيل المقطعي للوحدة اللغوية (تفعيل)، والآخر:

(1) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج2: 285

(2) البيت من قصيدة لأبي الطيب، يمدح فيها سيف الدولة، وقد عزم على الرحيل إلى أنطاكية، انظر:

الديوان: 257

(3) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج3: 18

كَمْ في اشتمال القالب المصدر (تفعيل) على حركة طويلة في المقطع الصوتي 10 المتوسط المفتوح (ص ح ح) ، وقد توسط البنية المصدرية، فقد تشكلت بنية القالب المصدر (تفعيل) من مقطعين قوين، مغلقين ، يحملان قوة في إيقاع الفعل، وتكثيفاً لدلالته. ويُمكن تصوير هذا الأمر على النحو الآتي:

البنية المصدرية	الوزن الصرفي	المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث	ملاحظات
تَقْطِيبٌ	تَفْعِيلٌ	تَفْ	عِيْ	لُنْ	في حالة الوصل
التحليل المقطعي		ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	3 مقاطع
تَقْطِيبِي	تَتَفْعِيلٌ	تَفْ	عِيْلٌ	—	
التحليل المقطعي		ص ح ص	ص ح ح ص	—	مقطعان

في حالة الوصل، تخلصت الحركة الطويلة من المقطع الثقيل (ص ح ح ص)، وشكلت الحركة الطويلة جزءاً من بنية الكلمة، مما منحها استطالة في الصوت والدلالة، فحملت الكلمة معنى وظيفياً، بالنظر إلى معاني الكلمات الأخرى، ودلّت على تكثيف الحدث، وكان الحركة الطويلة نابت عن تكرير المعنى، مرة تلو الأخرى، حتى صارت قرينة من قرائن تأكيد المعنى.⁽¹⁾ وعبر البناء المقطعي للوحدة (تقطيب) بتشكيله من المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، والمقطع الطويلة المغلق (ص ح ح ص) في حالة الوقف ، عن كثرة الحدث، والمبالغة في إيقاع الفعل.

رابعاً- ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة

(اسْتَفْعَالٌ)، نحو: قوله:

فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْجَمَامُ عَلَيْهِمْ	فِي ضَنْكِهِ وَاسْتَحْوَذَ اسْتِحْوَاذًا (2).
---	---

(1) انظر: الحركة الطويلة في سورة طه، دراسة وصفية تحليلية ، د: حازم على كمال الدين، ط2 ، مكتبة الآداب، القاهرة: 103 – 107 (بتصرف).

(2) البيت من قصيدة لأبي الطيب ، يمدح فيها مساويزين محمد الرومي ، من بحر الكامل. انظر: الديوان : 63

يقول سيبويه : "وَأَمَّا اسْتَفْعَلْتُ ، فالمصدر عليه الاستِفْعَال ، وكذلك ما كان على زَنْتِهِ ، يخرج على هذا الوزن ، وهذا المثال ؛ كما خرج ما كان على مثال افعلت ، وذلك قولك : استخرجتُ استخراجًا ، واستصعبتُ استصعابًا ، واشهببتُ اشهبابًا ، واقعنسستُ اقعنساسًا ، واجلّوڈتُ اجلّوڈًا "(1) وهي مصادر تدل على التروى ، والطلب ، وتجنب المفاجأة.

بل إن ابن جني ليجعل تصرف المؤلف بإيراد السوابق Prefixes ، من مثل ، ألف الوصل ، والسين ، والتاء ، التي تلحق بداية الجذور المعجمية للمادة الصرفية النواة ، ثم إيراد المواد المعجمية ، الفاء ، والعين ، واللام ، ضربًا من الصنعة الكلامية الجيدة ، والحرص على الإحاطة بالمعنى المراد ، بدليل أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب ، نحو : استسقى ، واستطعم ، واستوهب ، واستمنح ، واستقدم عَمَرًا ، واستصرخ جعفرًا ، فرتّبت الحروف – في هذا الباب- على ترتيب المعاني ... فلما إذا فاجأت الأفعال فاجأت أصول المثل الدالة عليها ، أو ما جرى مجرى أصولها ، نحو : وهب ، ومنح ، وأكرم ، وأحسن ... كذلك إذا أخبرت بأنك سعت فيها ، وتسببت لها ، وجب أن تُفدِمَ أمام حروفها الأصول في مثلها الدالة عليها أحرَفًا زائدة على تلك الأصول ؛ تكون كالمقدمة لها ، والمؤدّية لها ، وذلك نحو استفعل ؛ فجاءت الهمزة ، والسين ، والتاء زوائد ، ثم وردت بعدها الأصول : الفاء ، والعين ، واللام ؛ فهذا من اللفظ وَفَّقَ المعنى الموجود هناك ، وذلك أن الطلب للفعل ، والتماسه ، والسعى فيه ، والتأتى لوقوعه تقدّمه ، ثم وقعت الإجابة إليه ؛ فتبع الفعل السؤال فيه ، والتسبب لوقوعه ؛ فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب ، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة ، التي وُضعت للالتماس والمسئلة "(2).

يصبح من الجيد الإشارة إلى أنه يركز احتياط مؤلف الخطاب لمعناه على قدرته على تحقيق الكفاءة التواصلية لدى العناصر المشاركة في عملية الاستلزام التحويري ، تلك العملية التواصلية يُكتب لها النجاح حين يتوافر لها رافدان ، هما : كفاءة الانتخاب والإنتاج ، وكفاءة التفسير والتلقى ؛ إذ لا يتوقف أمر هذا النجاح على مجرد الكفاءة اللغوية ، وجودة الأداء ، إنما يجاوز ذلك إلى الإحاطة التامة بمحددات الموقف التواصلية ، فهما ، وصياغةً ، وتجعل من القوالب اللفظية المنتج النهائي في عملية التواصل ، ويكون

(1) الكتاب ، 4/79.

(2) الخصائص ، ج 2: 102

تالياً لإدراك الاعتبارات الثقافية، والاجتماعية، والنفسية، والتاريخية، والسياقية.⁽¹⁾ من المعلوم أن الطرح التداولي يركز على آليات المتلقى في تفسير الخطاب الموجه إليه، لذا فهو يستثمر طاقة السياق والقرائن المصاحبة Collacation في إدراك المحتوى القضوي، الذي تحمله ضفير العناصر اللفظية، والإشارية، ودلالات ما وراء اللغة، فقد استخدم المتنبي قالب المصدر بوصفه وسيطاً لغوياً، بين التصريف والدلالة، واستطاع - من خلاله - أن يحقق أمرين؛ أحدهما تثبيت دلالة القوالب اللغوية، وهو المعنى المراد الاحتياط له، وتمكينه لدى المتلقى، والآخر أن يجعل ذهنية متلقيه - فكرياً ووجداناً - متمركزة حول هذا المعنى المراد، لا تنفك عنه، إنما تدفع إلى التفاعل معه، ومتابعته، واتخاذ آليات متعددة في كيفية تفسيره، وقراءته ومن ثم الافتناع به، مما يدفع إلى تعظيم حضور المتلقى في عملية إنتاج الخطاب، برافديه اللفظي والإشاري، بدءاً من الفعل الكلامي المضمن في القول، وصولاً إلى المردود الفعلي أو السلوكي للفعل المنجز والمؤثر، ولعل هذا هو جوهر الطرح التداولي.

ويكون مجيء أبي الطيب بقالب المصدر (استحواذ) فيه طلب لإحداث فعل التملك، حيث عبّر المصدر (استحواذ) (استفعال) على أن مؤلف الكلام قد أتم معناه، في تعبيره عن إحاطة الموت، واستحواده على ذات المتكلم، وتمكنه منها، وهذا ما احتاط الشاعر له، وفيه تمكين للمعنى، يقول أبو البقاء: "الضنك: الضيق، واستحوذ: استولى؛ يقول: فعلت بهم ما فعلت في معركة ضيقة، وقف الموت عليهم؛ فحبستهم في ضيقها، وغلبتهم، وقتلتهم جميعاً".⁽²⁾

حين ندقق النظر في البناء المقطعي للمصدر غير الثلاثي (استحواذاً) (استفعال) نجد أن ذات الشاعر المقيّدة بالإيقاعات المقطعية، صارت تترقب إيقاع الحدث من خلال القالب المصدر، وتحاول أن تجعل من المقاطع الصوتية (اس) (ص ح ص) / (تخ) (ص ح ص) / (وا) (ص ح ح) / (ذَن) (ص ح ص) الثقيلة دليلاً على دخول الذات في عناصر الحدث، وقد أحسن المتنبي في التعبير عن ثقل ذاته، وتقيد نفسه؛ بما يناسب ذلك من المقاطع الثقيلة، من جنس المقاطع الصوتية المتوسطة المغلقة، في حين شكل المقطع المتوسط المفتوح نافذة صوتية دلالية، عكست رغبة تلك النفس في التحرر من قيود

(1) انظر: التحليل التداولي للغة (المنهج والتطبيق)، د: ليلة يوسف حميد يوسف، مجلة كلية

الآداب، جامعة سوهاج، العدد الرابع والأربعون، الجزء الثاني، يوليو (2017م): 45 - 46

(2) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 2: 82

التملك. ونظير ذلك قوله :

وَقُلُوبٌ مُّوْطَنَاتٌ عَلَى الرَّوِّ	(م) عِ كَأَنَّ اقْتِحَامَهَا اسْتِسْلَامٌ. ⁽¹⁾
---------------------------------------	---

يقول أبو البقاء : " موطنات : مسكنات ، والروغ : الحرب ، ولم يُرد الفرع ، والاقتحام : الدخول في الحرب ، والاستسلام : طلب الصلح ، يقول : وهم شجعان ، يقتحمون الموت ؛ وقد عودوا أنفسهم الإقدام ، فكأنهم لاسترسالهم وانبساطهم على الحرب ؛ يطلبون الصلح والسلم".⁽²⁾ يُشير أبو الطيب إلى معنى تمكّن الضعف من نفوس من يهجوهم ، وقد احتاط لهذا المعنى بقالب المصدر (استسلام) لما فيه من دليل على تمكن الضعف والرجاء منهم ، دفعاً لتوهم اتصافهم بالشجاعة ، حين قال : اقتحامها.

خامساً : ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر (تفاعل) ، من

تَفَاعَلَ ، التي مصدرها تَفَاعَلَ ، بضم العين ، نحو : قوله : من بحر الوافر :

أَحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أَحَادٍ	لِيُيَلِّتَنَا الْمُنُوطَةُ بِالتَّنَادِ (3).
----------------------------------	---

يقول سيبويه : " أما تفاعلت : فالمصدر التفاعل ، كما أن التفعّل مصدر تفعّلت ، لأن الزنة ، وعدة الحروف واحدة ، وتفاعلت من فاعلت ، بمنزلة ، تفعّلت من فعّلت ، وضُمّوا العين لئلا يُشبه الجمع ، ولم يفتحوه ؛ لأنه ليس في الكلام تَفَاعَلَ في الأسماء".⁽⁴⁾

يصير من الجيد التنبيه إلى أنه يتصل بقوة القالب المصدري في الاحتياط للمعنى أن جمعه المتنبي – في هذا الموضع - بصنوه من قالب التصغير ، الدال على التحقير ، ويبدو أنها كانت عنده سبيلاً للتعبير عن سماته الشخصية ، أو مفاجأة عقلية المتلقى بإيراد المتناقضات النفسية ، فتارة يستخدم قالب المصدر الدال على القوة والتدفق ، وأخرى يستخدم قوالب التصغير الدال على التحقير ، وتقليل الشأن.

وقد احتاط أبو الطيب بالصورة الصرفية (تفاعل) ، ليُشير إلى معنى انقسام نفسه ، فأشار إلى طول ليلته ، بما يناسبها من الألفاظ ، وكانت الصورة البصرية – في هذا الشاهد - لهذا المعنى في كلمة (التناد) ، التي يتوسطها صوت لين ، يسمح امتداده الصوتي بامتداد المعنى النفسى ، فالمتلقى لا يبرح ذلك المعنى ، حتى ينقطع امتداد صوت الألف ، مما يكشف

(1) البيت من قصيدة لأبي الطيب ، يمدح فيها عليّ بن أحمد المريّ الخراساني ، من الخفيف ، والقافية

في المتدارك. انظر: شرح ديوان أبي الطيب ، للعكبري ، ج 4 : 92

(2) شرح ديوان أبي الطيب ، للعكبري ، ج 4 : 98

(3) البيت من قصيدة لأبي الطيب ، يمدح فيها عليّ بن إبراهيم التنوخي ، انظر: الديوان : 76

(4) الكتاب ، ج 4 : 81

للمتلقى عن توتر نفسي، جسد امتداده ألف اللين، فاحتاط إلى معنى أن طالت ليلته من دون انتهاء بقالب المصدر التناد الدال على البعد والامتداد الصوتي والدلالي، وكانت صيغة المنازعة (تفاعل)، مما عكس تصارعاً وتفاعلاً بين نفس المتنبي وما يحيط به من أشياء، مع تنكيرها، لتشمل الأشخاص، والأشياء المادية والمعنوية.

على كل حال بدا استعمال المتنبي للقالب المصدري (التناد) رغبة في إظهار بعد ذاته وسموق نفسه، ليظهر تعاليه على الناس، يقول أبو البقاء: "قوله: أحاد، يُريد: أحاد؟. فحذف همزة الاستفهام، وليس هو بالفصيح، وإنما يقع في الشعر ضرورة، ولا يُقال: زيد أبوك أم عمرو؟. وقوله: بالتناد، يُريد: يوم التناد؛ فحذف، والباء معلقة بمعنى المنوطة؛ والمنوطة: المتعلقة، ويوم التناد: يوم القيامة؛ لأن النداء يكثر فيه.

قال الواحدى: قد أكثروا في معنى هذا البيت، ولم يأتوا ببيان مفيد، ولو حكيت ما فيه لطال الكلام؛ ولكن أذكر ما وافق اللفظ من المعنى؛ وهو أنه أراد: واحدة، أم ست في واحدة، وست في واحدة؛ إذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف، ولم يُرد الضرب الحسابي، وخص هذا العدد؛ لأنه أراد لياالي الأسبوع، وجعلها اسماً لليالي الدهر كلها، لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر من الدهر، فكأنه يقول: هذه الليلة واحدة، أم لياالي الدهر كلها اجتمعت في هذه الليلة حتى طالت، فامتدت إلى يوم القيامة، وقوله: لِيُثَلَّثَنَا، للتحقير، فهي تحقير، وتعظيم، وتكبير... وعلى هذا استطال الليلة، حتى عزم في صباحها على الحرب، شوقاً إلى ما عزم عليه؛ وإنما حَقَّرَ لليلة؛ لعظم طولها".⁽¹⁾ فهو يُريد تمكين معنى طول ليلته، فاحتاط لذلك بقالب مصدري متنقل بين المقاطع الصوتية، به حركة طويلة، ناسب بين طولها وامتدادها، بطول ليلته، وامتداد انفعاله وشعوره بالبعد.

سادساً: ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر (انفعال) من:

انفعل، مصدره انفعال، قوله:

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا	(م)ءِ وَالْمَوْتُ مِثِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ. (2)
---------------------------------------	---

يقول أبو البقاء: "حبل الوريد: هو عرق في العنق، متصل بالفؤاد، إذا انقطع، مات الإنسان، والمعنى: يقول: دعوتك يا مالك رقي، لما انقطع الرجاء من غيرك، وقرب من الموت، فكان أقرب إلى من حبل الوريد، وهذه مبالغة".⁽³⁾ حيث إن قوله: (انقطاع)

(1) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 1: 353

(2) البيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي، قالها في محبسه، عندما وُشِيَ به قومٌ إلى السلطان،

فحبسه، من بحر المتقارب، بكتبتها إليه من المحبس، انظر: الديوان 48

(3) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 1: 346

احتياط لمعنى انعقاد الأمل والرجاء في الممدوح، والهجر واليأس من غيره، واحتباس من كون الأمر باباً للسخرية، لاقتراب الموت، ومن ذلك: قوله:

قَسِمُ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكِ الْمُرَجَّى	فَأَمْسَكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسَكَاً (١)
---	---

يقول أبو البقاء: "المعنى: يُريد أن السحاب أمسك عن الانسكاب، لئلا يخجل من جوده، لتقصيره عنه". (٢) فقلوه: (انسكاباً) تمكن لمعنى ما كان يحياه من رعد، وانهمار للمطر الجالب للخير، وهو احتياط لما أراده من طلب الوصال، فهو يُشير إلى انتقاله من حال الرعد إلى حال.

سابعاً: ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة: (افعال)، بكسر الهمزة، وسكون العين: ونظير ذلك، قوله، يمدح شجاع بن محمد بن عبد العزيز بن الرضا بن المضاء الطائي المنبجي:

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتْ إِصْفَرَارِي: مَنْ بِهِ؟	وَتَهَدَّتْ، فَأَجَبْتُهَا الْمُتَهَدُّ (٣)
--	---

يقول أبو البقاء: "التهُد: شدة التنفس والزفرات، والمعنى: يقول: لما رأت تغيُّر وجهي واصفراره؛ قالت: من به؟ أي: من قتله؟ أو من فعل به هذا الذي أراده؟ ثم تهدت؛ فعلا صدرها، لشدة تنفسها، وزفرت استعظماً لما رأت، فأجبتها عن سؤالها، المتهد، المطالب بقتلي، أو الفاعل بي هذا". (٤)

يُريد المتنبي أن يُبرز تعجب محبوبته من رؤيته مريضاً، فاحتاط لذلك المعنى أن أورد القالب المصدرى اصفرار، بتكرير اللام، التي ناسبت ضعفه، إذ إن إلحاق التكرير بآخر القالب يُشير إلى الضعف، وغياب الحياة والنضرة، حتى إنه عقد مناسبة دلالية، اعتمدت على مراعاة النظر، بين الاصفرار والمتهد، مبالغة في الإشارة إلى الذبول والضعف، ونحواً من ذلك: قوله:

وَحُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْسِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي	أَرْتَكَ أَحْمَرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ (٥)
---	---

(١) البيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي، قالها وقد نظر إلى السحاب، انظر: الديوان: 202

(٢) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 1: 146

(٣) البيت من بحر الكامل، انظر: الديوان: 42

(٤) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 1: 328

(٥) والبيت في شرح العكبري، برواية الرفع في خضرة، والعيش، بدلاً من العيس، ولعل هذا من التحريف، والبيت من قصيدة لأبي الطيب، قالها في صباه، من الطويل، والقافية من المتواتر،

انظر: الديوان: 7

يقول أبو البقاء: "خضرة ثوب العيش: مستعارة من خضرة النبات، والنبات إذا كان أخضر، كان رطباً ناعماً، ويحمد من السيف ما كان مُشرباً خضرة، واحمرار الموت: شدته، وموت أحمر: أى: شديد، وأصله من القتل، وجريان الدم، ومدرج النمل: مدبُّه، وهو حيث درج فيه بقوائمه؛ فأثراً أثراً دقيقة؛ والمعنى: جعل النصل مدرج النمل، لما فيه من آثار الفند، فيقول: طيب العيش في السيف، أى: في استعماله والضرب به".⁽¹⁾

يُريد المتنبي أن يبرز أن طيب العيش في استعمال السيف، والقتال به، واحتاط لهذا المعنى بقالب المصدر (احمرار) بوصفه ناتجاً عن استعمال آلة السيف، وأن سبب في أن تسيل دماء القتلى، ووجاء بالمصدر على زنة افعال، بتكرير اللام، ليدل على تكرير الفعل وقوته.

تاسعاً: ما أورده أبو الطيب المتنبي احتياطاً للمعنى بقالب المصدر، مما جاء على زنة (مفاعلة)، بضم الميم، فتح الفاء الممدودة، وفتح العين واللام، نحو: قوله:

كَأَنَّ خَلَّاصَ أَبِي وَائِلٍ	مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الْأَقِيلِ ⁽²⁾
--------------------------------	---

يقول سيبويه: "وأما فاعلتُ فإن المصدر منه، الذى لا ينكسر أبداً مُفاعلة، وجعلوا الميم عوضاً من الألف التى بعد أول حرف منه، والهاء عوض من الألف التى قبل آخر حرف، وذلك قولك: جالسته مُجالسة، وقاعدته مقاعدة، وشاربته مشاركة، وجاء كالمفعول: لأن المصدر مفعول".⁽³⁾

يقول أبو البقاء: "يقول: كنا بعد أسره في ظلمة، فلما عاد إلينا كان كمعاودة القمر بعد أفوله، ووائل مشتق من وائل: إذا نجا؛ ووائل منون، فلا يُظن أن البيت مصرع".⁽⁴⁾ وكذلك: قوله في صباه:

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ	لَهَا الْمُنَايَا إِلَى أَزْوَاجِنَا سُبُلًا ⁽⁵⁾
---	---

يقول أبو البقاء: "(لها) هى الفاعلة، والمعنى: وجدت لهوات المنايا، وجمع السبل؛

(1) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 3: 160

(2) البيت من قصيدة، يذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داوود من الأسر، من المتقارب، والقافية من المتدارك، انظر: الديوان 260

(3) الكتاب، ج 4: 80

(4) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعكبري، ج 3: 24

(5) البيت من قصيدة، يمدح فيها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي، وهى مما قاله في صباه، من البسيط، والقافية من المترابك، انظر: الديوان 10

لأنه أراد صحة المعنى ، لأن فراق الحبيب يُوجد للمنية سبيلًا ؛ مباينة للسبل التي جرت عادة المنية به ، وذلك أن فراقه إنما يكون في الأغلب مع الهجر ، والمنية تدرك به عن طريق العشق وطريق الفراق ، وطريق الشوق ، وطريق العجز طرقًا شتى ، فلذلك استعمل الجمع ... والمعنى : يُريد : لولا الفراق لما كان للمنية طريق إلى الأرواح ، وإنما توسلت إليها بطريق فراق الأحباب".⁽¹⁾

فقد استثمر المتنبي الدلالة الصوتية لألف اللين ، من المصدر (مفارقة) في الشطر الأول ، على زنة مفاعلة ، فقد مطَّها ؛ بهدف الكشف عن رغبته في الحياة وإقباله عليها ، رابطًا بين إشباع الحركة وطولها ، وقصديته في إبراز رغبته في أن يعيش مليًا . وكأنه بذلك يتخذ من وجود الأحباب سبيلًا لأن ينجم من الموت ، بيد أنه يقربُأنه حين انتخب المصدر الرباعي (مفارقة) كان مدركًا لأنه يحمل بين عناصره الصوتية دليل المنازعة والتغالب ، وهي ألف مفاعلة ، أو ما يُمكن أن نسميه : الألف الطويلة ⁽²⁾ ، الجامعة بين الرغبة والمنازعة ، بين الالهفة والبطء . ومن أول ما قاله في الصِّبَا :

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ	لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِ . ⁽³⁾
--	--

يقول أبو البقاء: "والتقدير: كفى بجسمي نحولًا انتفاء رؤيتي؛ لولا وجود مخاطبتي، والمعنى: يقول : قد بلغ في النحول الغاية ، وكفى أني رجل لولا كلامي لم يقع ناظر العائد علىّ ، إنما يستدل العائد علىّ بصوتي".⁽⁴⁾ يوضح المتنبي حالة النحول والضعف التي أصابته ، وقد احتاط لهذا المعنى بالقالب المصدر (مخاطبتي) (مفاعلة) الدالة على المنازعة والضعف ، وبدأ بالميم الزائدة ، ليمهد لرجائه ، وتمكين ضعفه .

● تعقيب على المحور الثاني :

جاءت المصادر غير الثلاثية بصورة أكثر كثيفًا ؛ حتى تكون دليلًا لغويًا ، لتناسب

(1) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، للعكبري ، ج 3 : 163

(2) انظر: من أصول الشعر العربي القديم ، الأغراض والموسقى (دراسة نصية) ، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، مجلة فصول ، (ترائنا الشعرى) ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، يناير/فبراير/مارس ، 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : 40

(3) والبيت في رواية العكبري بإثبات الياء ، من الفعل ترني ، رغم ما سبقه من الجازم ، ولعل ذلك مراعاة لحرف الخروج القائم على إشباع الحركة ومطلها . والبيت من قصيدة لأبي الطيب ، قالها في صباه ، في المكتب ، من البسيط ، والقافية من المتركب ، انظر: الديوان : 2

(4) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، للعكبري ، ج 4 : 187 - 188

طبيعة المتنبي ، وتسعفه ، ليؤكد غزارة فكره ، وسموق أسلوبه ، وقوة منطقته ، وفي بيان قدرته على تطويع المعاني ، واستدعاء المباني ؛ رغبة منه في إزكاء نفسه ، وإبراز خطورته ، لذا فإن المتنبي عمد إلى اختيار القوالب المصدريّة ، التي تتفق مع تلك الغايات النفسية في المقام الأول .

على هذا الأساس صاغ المتنبي منجزه الشعري كلّهُ ، وجعل قوامه حق المؤلف ، وحق المتلقى ، ومثّل حق المؤلف في التعبير ، والانتخاب ، والتصديق ، وحق المتلقى في عدم الحجر على رؤيته ، وأن يكون النص منفتحاً أمامه على مصراعيه ، يسلط أفق انتظاره ، ومزاجه النفسي في كل قراءة (تقلبات النفس وتحركاتها بين الانفعالات المتعددة) – بوصف عملية القراءة كياناً متقلّباً ، يخضع للسياق ، ويستعصى على الثبات ، ولا ينحبس في أفق انتظار أوحده - وفي توجيه كل تفسير ، وإذا حاول الباحث الناقد اختيار المنجز الشعري للمتنبي ؛ فإنه ينبغي الإشارة إلى أن هذا المنجز الشعري للمتنبي لم يقصر عن تحقيق هذه الغايات ، ولم يتحرف عن تأكيدها .

إن المتأمل لبنية الصيغ المصدريّة بنوعها الثلاثي وغيره ، في شعر أبي الطيب ؛ يُدرك – إن أراد دلالة إحصائية- أنه يواجه أنواعاً من التقابل بين الصورة البصرية للقالب اللغوي ، ودقتها في الدلالة على المعنى المراد منها ؛ لا تكاد ذهنية المتلقى تبرح المعنى ، من خلال تصوير المعاني الجزئية التي يُريدها أبو الطيب ، في تلاحم بين السطح والعمق ، بعيداً عن العفوية والسذاجة ، فقد عبّرت قوالبه اللفظية عمّا يصحُّ أن نسميه : اتصال اللغة بالنفس .

بل إنه يُمكن للباحث أن يقول : لقد امتلك المتنبي زمام اللغة ، واستثمر طاقاتها أيّما استثمار ، فعرف كيف ينتخب قوالبه اللغوية ، وأدرك كيفية مخاطبة المتلقى ، عبر إلمامه بالمحددات الثقافية لشخصية من يخاطبه ، فحين تظن سذاجة في انتخاباته اللفظية ، تلفها ضرورياً من الحيوية والعمق ، فما أجمل أن يكون الشعر على قدر البقاع !⁽¹⁾ مفرّقاً بين اللغة الاجتماعية واللغة الفردية.⁽²⁾

الخاتمة :

في نهاية البحث يحسُن القول : لقد رام هذا البحث معالجة آلية انتخاب المتنبي - في

(1) انظر: ظواهر أسلوبية في شعر المتنبي، عبده بدوي، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثاني،

يناير/فبراير/مارس، 1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 195

(2) انظر: مفهوم اللغة عند البنيويين ، دراسة تحليلية : 127

منجزه الشعري- لقالب المصدر، بوصفه قالباً لغوياً، أو وحدة صرفية دلالية، صورة كلامية من صور الاحتياط الصرفي للمعنى، وقد ارتكزت تلك المعالجة على أسس التباين الدلالي للأفعال الكلامية، وأن القوالب اللغوية- والصرفية خاصة- تحمل أبعاداً تداولياً، تقوم عمليات إدراك القصد فيها، على العلاقة بين المؤلف والمتلقى بصورة مباشرة، ثم تأتي محددات الاستعمال، والمواضعة، والذيوخ، والبيئة الخطابية(سياق القصد).

يُلاحظ - من محاولة تتبع الحركة الدلالية للقوالب المصدرية في شعر أبي الطيب - أنه - حين لجأ إلى استخدام القوالب المصدرية في لغته الشاعرة - كان يهدف إلى سدّ فجوة دلالية، ذات مرجعية انفعالية من دواخل نفسه؛؛ قوامها افتراضه الضمني، الذي أسسه على خلفية من إدراكه للعلاقة المعنوية بين عناصر الموقف الحوارى، في عملية استلزام تخاطبي منفذة وناجحة، تلك الفجوة الدلالية تقوم على ادعائه أو ظنه وجود نقص في إدراك المتلقى لمختلف أبعاد المعنى المرسل له، فألزم نفسه بأن يقدم له معونات لفظية، تسعفه ليسد هذا النقص، أو تكون تلك الفجوة مستندة إلى توقع - المؤلف- غياب بعض التفاصيل العقلية أو الوجدانية المرتبطة بالحالة المراد دفعها إلى المتلقى، أودفعه إليها، فأوجب على نفسه أن يُراعى أفق انتظاره.

فقد كثّف المتنبي من بنية المصدر رغبة منه في تجنب المتلقى فيوض الاحتمالات الدلالية، واختلاطها، بل تناقضها في كثير من الأحيان، بالإضافة إلى المناقشات الذهنية والعاطفية، وما من شأنه كد الذهن، وإفشال عملية الاستلزام التحوارى، وأقام ذلك على علاقة عرفية بين أفق انتظار المتلقى، والدلالات الصرفية، واللغوية، والاجتماعية، لقالب المصدر، فأعانه - بذلك- على الدخول نحو المعنى المراد بصورة مباشرة.

جاءت القوالب اللفظية في المنجز الكلامي لأبي الطيب كاشفة لذاته، وثائرة على كل ما يُحيط بها من أشخاص وأشياء، إذ إن الاحتياط للمعنى لم يكن بالعمل الاعتبارى، ولا التصرف العبثى، إنما استثمر أبو الطيب المتنبي الدلالة المعجمية والتركيبية والمقطعية المشكّلة لعناصر قالب المصدر الصريح، مستنداً في ذلك إلى أن كل اختلاف في صورة القالب اللفظي يتبعه - بلا شك - اختلاف في المعنى الذى يحمله، ويعبر عنه. وتتضمن الخاتمة ما يلي :

أولاً : أهم النتائج : يستطيع الباحث أن يخلص - في ضوء العرض السابق- إلى

ما يلي:

• تدل النظرة العجلى - لقوالب المصدر بنوعيه في شعر المتنبي- على أنه قد أحسن

توظيفها لخدمة أبعاد شخصية، واجتماعية؛ فبدت نسب ورود قالب المصادر القياسية والسماعية طاغية في معظم جملة وقصائده، وجسدت أبعاداً متعددة، تمثلت في إبراز نرجسيته، وتناقض ذاته، فهو يستميل، ويتعالى؛ فعندما يبدو واضحاً، سريعاً ما يكون غامضاً مغالياً في ذلك .

● تثبت المقاربة الإحصائية – من خلال الاستقراء الناقص- بين المحددات الكمية للقوالب اللغوية من جنس القوالب المصدرية - في المنجز الشعري لأبي الطيب المتنبي - وبين القيم الدلالية والمعاني السطحية والمضمّنة فيها ، والتي احتاط لها ؛ أنه استطاع – بقصد- أن يعقد صلة نفسه بمعانيه التي أوردها ؛ وأن كل انتخاب مصدرى أحيط له ، كان مناسباً لمواقفه النفسية من مختلف الحادثات؛ حين صنع ضفيرة متشابكة المفردات بين قوالب المصدر ومعانيها.

● يحرص أبو الطيب - من خلال قوالبه اللغوية عامة ، والمصدرية منها بصورة خاصة- على تقديم نفسه ، وتجسيد عواطفه ، مضمراً تصارعاً داخل نفسه ، فجاءت قوالبه عاكسة لمواقفه إزاء ما يحدث ، أو يشعر ، أو يريد إيصاله لمتلقيه.

● يبدو أن لقالب المصدر الصريح وظيفة تعبيرية إيجابية، صار بها انتخاب المتنبي لها أداة تواصل لاستلزام حوارى منجز وناجح ، استعان المتلقى من خلال تحليلها إلى الوصول إلى المعنى المحتاط له.

● وُصفت آلية احتياط الصرفي للمعنى - من خلال قالب المصدر الصريح- بأنه هذا التصرف تصرف قوى من جانب مؤلف الكلام ، راعى فيه المؤلف طاقة التلقى ، بين سطحية الدلالة وعمقها ، في ضوء من نظرية السلاسل الدلالية .

● بدأ بالميم الزيادة في قالب المصدر ، مما جاء على زنة : مَفْعِل ، ومِفْعَل ، بالإضافة إلى الألف ، والسين ، والتاء في قالب المصدر ممّا جاء على صيغة استفعال ، بوصفها مهمدات دلالية ، تُشير إلى قصدية المؤلف التمهيد لمعناه، وتمنح القالب الصرفي قوة في القالب والمعنى.

● دلّ ورود قالب المصدر فيما جاء على زنة فعالة على احتياط المؤلف لدلالة التخصيص ، وتضيق الدلالة وحصرها ، لاسيما حين أحقها بمورفيم لاحقة Suffixe تاء التأنيث المربوطة ، الدالة على التكثر والمبالغة في إيقاع الفعل ، وتخصيصه.

● دلّت قوالب المصدر مما توسطه حرف لين ، مما جاء على زنة : تفعيل ، أو تفاعل ، أو افعلال ، أو مفاعلة على امتداد المعنى المراد ، وجسد امتداد الصوت استحضار المتلقى

للمعنى ، وزيادة مدة بقاءه في فكره ، حتى ينقطع صوت اللين.

• رُصدت في شعر المتنبي قوالب مصدرية على زنة افعلنال، بتكرير اللام رغبة من المؤلف للاحتياط بتكرير المعنى.

• جسد قالب المصدر مما جاء على تفعل، قوة الدلالة، الناجمة عن قوة اللفظ لقوة المعنى المتدفق من توالى المقاطع الصوتية المتناسبة والمتتابعة، لاسيما المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص).

• يُرجَّح - من خلال المقاربة الإحصائية ، ونسب الورد التقريبية ، بغض الطرف عن لغة الأعداد والأرقام ذات القيم الدلالية والفروق الإحصائية ، فقد تشكّل نسبة ورود قالب المصدر الصريح ، من خلال الاستقصاء الناقص نسبة 30% ، من جملة قوالب الأفعال الكلامية المختلفة - حضور قالب المصدر بصورة طاغية ، تلفت انتباه المتعرض لدراستها ، وتشير إلى لجوء المتنبي - عن قصد- إلى قالب المصدر الصريح ، بوصفه فعلاً كلامياً منجزاً ، وحوّله إلى فعل مؤثّر ، أدرك قيمته الدلالية ، من خلال الموقع Slot والفئة في الإحاطة بمعناه الذي يقصده المؤلف.

• شكّل قالب المصدر ، مما على زنة (إفعال) ، والمأخوذ من فعل التكلم (أفعل) القالب الأكثر استخداماً ، وقد عبّر به أبو الطيب عن الاعتداد بذاته ، وسمو نفسه ، في حين شكلت القوالب المصدرية المنتهية بالاحقة مورفيم تاء التأنيث القالب الأقل استخداماً ، لأنها حملت وظيفية تعبيرية سلبية ، تناقضت مع احتياط المتنبي لقصدية الشمول .

• شكّل قالب المصدر الصريح- في الخطاب الشعري لدى المتنبي- فعلاً Action كلامياً مباشراً وتداولياً ، وآلية لغوية عقد بها المؤلف لُحمة نفسية ودلالية ، وحقّق بها تأثيراً مباشراً بينه وبين متلقيه.

• أعانت بنية المصدر الصريح في الاحتياط للمعنى المركزي للخطاب، حيث مكّنت ذهن المتلقى من الوصول إلى القصد المركزي لمؤلف الكلام، أو على الأقل أعانته في ترجيح معنى معين ، من باب المقاربة ، والتوقع.

• أجاد أبو الطيب في انتخابه قوالب المصدر الصريح ، وفي تكثيفه منها عن سائر قوالب الأفعال الكلامية ، لإدراكه ما تتسم به من قدرة صوتية ومقطعية ، وقيم تداولية ، في الاحتياط للمعنى. وقد تجلّت دلائل قوة قالب المصدر الصريح للاحتياط للمعنى في استثمار المتنبي للطاقات الصوتية والدلالية والتداولية للسوابق ، ومورفيمات الحشو

واللواحق ، من جنس الميم الزائدة ، أو الألف والسين ، والتاء ، أو زيادة النون ، أو الامتداد الصوتي لأحرف اللين ، أو زيادة التاء في أول القالب المصدرى ، في تقوية المعنى ، واستحضار مفرداته.

• كان لسياق القصد الدور الحاسم في الكشف عن المعنى المضمن من وراء قالب المصدر الصريح ، وفي هذا الموضع Position تحول هذا القالب إلى أداة تواصلية ، حملت وظيفة تعبيرية ، يصح أن نصفها بما يحقق لذة المراوغ ؛ جمع فيها المتلقى بين القوة الدلالية ، والمناسبة الوظيفية ، وخصوصية التوجيه.

ثانياً : أهم التوصيات ، والتي من أهمها ما يلي :

- ضرورة عقد دراسات وبحوث مستقلة حول العلاقة المطردة بين البعد النفسى ، والصورة البصرية للقوالب اللغوية .

- دراسة أثر السياقات المختلفة في احتياط مؤلف الكلام لقصده أو لمعناه.

- أفراد بحوث ودراسات لصور المصادر السماعية ، في شعر أبى الطيب المتنبي ،

و إبراز القيم الدلالية والنفسية لها ، لاسيما : المصدر الذى يأتي على زنة اسم الفاعل ، واسم المفعول .

- عقد بحوث تطبيقية حول التراكيب والتعابير اللغوية والسياقية ، التى تؤيد

اتصال مؤلف الكلام بصوت النفس أكثر من خضوعه والتزامه المعيارية اللغوية.

- إجراء بحوث ودراسات مستقلة ومفصلة حول القيم الدلالية الناتجة عن

المقاربات الإحصائية ، من خلال نسب الورود ، وطغيان قالب كلامى على غيره من القوالب الكلامية المختلفة ، في شعر المتنبي وغيره.

وبعدُ .

فأخردعو أنا أن الحمد لله رب العالمين ، إنه - تعالى - هو الهادى إلى سواء السبيل.

قائمة المصادر والمراجع:

1. آليات الاحتياط الصوتي والصرفي في قراءة حمزة للدكتورة : تهاني فيصل علي البنيان ، كلية الشريعة والأنظمة بالطائف ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد 49.
2. الاتساع (دراسة تحليلية) د: سهير أحمد محمد أحمد ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، العدد (26) ، الجزء الأول ، مارس 2003 م .
3. أصول النحو ، دراسة في فكر الأنباري ، د : محمد سالم صالح ، ط 1 ، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 1427 هـ / 2006 م.

4. الأصول في النحو، لابن السراج ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، العراق ، ط 1973م.
5. الأفعال الكلامية في التحليل النحوي للنص القرآني عند أبي حيَّان في البحر المحيط، محمد محمود فراج حسانين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الأربعون ، مارس (2016م).
6. أمثال المتنبي وحياته ، بين الألم والأمل ، وقطع مختارة من شعر المتنبي ، أحمد سعيد البغدادى ، ط1 ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، 1351هـ/1932م.
7. البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، الجيزة ، 2009م
8. التحليل التداولي للغة (المنهج والتطبيق) ، د : ليلة يوسف حميد يوسف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الرابع والأربعون ، الجزء الثاني ، يوليو (2017م).
9. التداولية ، مقاصد وآداب ، د : صبرى إبراهيم السيد ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1440هـ/2019م .
10. التشابه اللفظي في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية ، د : عاطف حسن عبد اللاه عبد الواحد ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الأربعون ، مارس /2016م
11. تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم ، عبد القادر الرباعي ، مجلة فصول ، (تراثنا الشعري) ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، يناير/فبراير/ مارس ، 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
12. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، د : أحمد سعد محمد ، ط4 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1430هـ/2009م
13. الحركة الطويلة في سورة طه ، دراسة وصفية تحليلية ، د : حازم على كمال الدين ، ط2 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د.ت).
14. الخصائص ، لابن جنى ، تحقيق : عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية ، (د. ط) ، 1418هـ.
15. دراسات في الصرف والمصطلح اللغوي، الروابدة، محمد أمين أحمد، مكتبة الرشد، الأحساء، ط1، 2014م

16. دراسة الخطاب الحجاجي من منظور الجدل التداولي ، د : أحمد عبد الحميد عبد الحميد ، مجلة عالم الفكر ، العدد: 182 ، أبريل - يونيو ، 2020 م ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت.
17. دقائق التصريف ، ابن المؤدب ، أبو القاسم بن محمد بن سعيد ، تحقيق: حاتم الضامن ، دار البشائر ، دمشق ، ط1 ، 2004 م.
18. ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمى : بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهرسه ، مصطفى السقا ، وإبراهيم الإيباري ، وعبد الحفيظ شلي ؛ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان. (د.ت).
19. ديوان المتنبي ، لأبي الطيب المتنبي ، تحقيق ، لجنة التأليف والترجمة ، صححها ، وقارن نسخها ، وتعليقاتها ، د : عبد الوهاب عزام ، تنسيق وفهرسة ، د : الشويحي ،
نسخة : pdf
20. شرح التسهيل ، المسمى : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك ، جمال الدين ، محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الأندلسي (ت672هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتح السيد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ/2001م
21. شرح شافية ابن الحاجب ، للشيخ : رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوى ، المتوفى 686هـ ، مع شرح شواهد ، للعلامة البغدادي ، المتوفى عام 1093 هـ ، تحقيق : محمد نور الحسن وآخرين ، (د . ط) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1402 هـ / 1982 م
22. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصارى المصرى ، ومعه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محي الدين عبد الحميد ، (د . ط) ، دار الطلائع ، القاهرة ، ومكتبة الساعى ، المملكة العربية السعودية ، 2004 م
23. ضُروب الاحتياط في اللغة العربية (دراسة نحوية) ، د : آمال أحمد السيد عامر ، حولية كلية اللغة العربية بنين ، بجرجا ، جامعة الأزهر ، العدد (22) ، الجزء السابع ، للعام : 1439هـ/2018 م
24. ظواهر لغوية جديدة في اللغة العربية ، د : حازم على كمال الدين ، (د. ط) مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د.ت)
25. العربية لغة العلوم والتقنية ، د : عبد الصبور شاهين

26. علم الأسلوب المقارن ، د : حازم على كمال الدين ، ط 1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1430هـ/2009م
27. علم الدلالة المقارن ، د : حازم على كمال الدين ، (د. ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د. ت)
28. العمدة في محاسن الشعر لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 1 ، دارالطلائع للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006م
29. الفعل في اللغة العربية ، بحث في تولّد الصيغ وانتظامها، الأزهر الزناد ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2017م
30. القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي ، د : يوسف رزقه ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد السابع ، العدد الأول ، يناير (1999م)
31. الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المتوفي 285هجرية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته ، (د. ط)، مطبعة نهضة مصر، القاهرة
32. الكتاب، لسيبويه ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408هـ//1988م
33. الكُنَاش في النحو والصرف ، لأبي الفداء الملك المؤيّد ، عماد الدين إسماعيل بن على (ت732هـ) ، تحقيق ، د : على الكبيسي ، ود : صبرى إبراهيم ، (د. ط) مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، الدوحة ، قطر ، 1413هـ/1993م
34. كيف تتذوق قصيدة حديثة ، عبد الله محمد الغدامي ، مجلة فصول ، الجزء الثانى، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو/أغسطس/سبتمبر 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
35. لسان العرب ، لابن منظور، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرين ، (د. ط) دار المعارف ، القاهرة ، (د. ت)
36. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين، تعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط 2، 2008م
37. المختصر في أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د : محمد حسن حسن جبل ، ط 2. البربرى للطباعة الحديثة ، الغربية ، 2001م

38. مفتاح العلوم ، للإمام ، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت 626هـ) ، ضبطه ، وكتب هوامشه ، وعلق عليه : نعيم زرزور ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م
39. المفصل في علم العربية ، لجار الله الزمخشري ، دار الجيل ، (د. ط) بيروت ، لبنان (د.ت)
40. مفهوم اللغة عند البنيويين ، دراسة تحليلية ، د : إحسان عبد القدوس ، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية ، الإصدار الرابع ، السنة الثامنة عشرة ، العدد السادس والثلاثون ، رجب : 1431هـ/ يولييه 2010م
41. من أصول الشعر العربي القديم ، الأغراض والموسقى (دراسة نصية) ، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، مجلة فصول ، (تراثنا الشعري) ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، يناير/فبراير/مارس ، 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
42. من مظاهر الحداثة في الأدب ، الغموض في الشعر ، محمد الهادي الطرابلسي ، مجلة فصول ، الحداثة في اللغة والأدب ، الجزء الثاني ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، يوليو/أغسطس/سبتمبر 1984م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
43. النحو الوافي ، الأستاذ : عباس حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1973م
44. نظرية القوالب ، من نظريات علم اللغة الحديث ، د : حازم على كمال الدين ، (د. ط) ، مكتبة الآداب ، (د. ت)
45. نظرية القوة الإيقاعية في الخطاب اللغوي ، د : حازم على كمال الدين ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1433هـ/2012م.